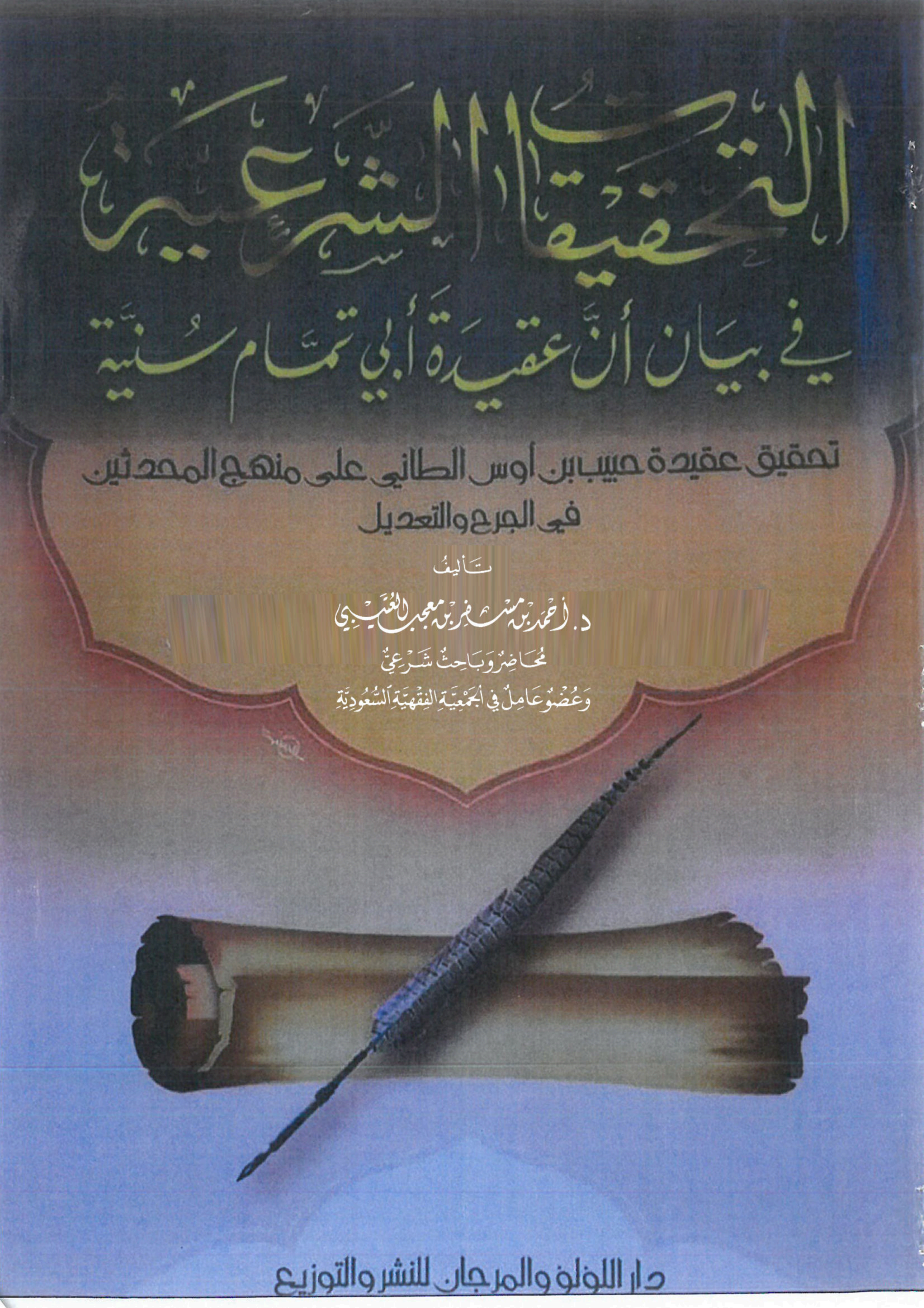

التحقيقات الشرعية
في بيان أن عقيدة أبي تمام سنية
تحقيق عقيدة حبيب بن أوس الطائي على منهج المحدثين
في الجرح والتعديل
تأليف
د. أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي
محاضر وباحث شرعي
وعضو عامل في الجمعية الفقهية السعودية
دار اللؤلؤ والمرجان للنشر والتوزيع

التحقيقات الشرعية في بيان
أن عقيدة أبي تمام سنية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العتيبي ، أحمد مسفر

التحقيقات الشرعية في بيان أن عقيدة أبي تمام سنية: تحقيق عقيدة حبيب بن أوس الطائي على منهج المحدثين .- تبوك.

٢٠٤ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٧ -٤٧٢- ٣٩ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن ٢- أبو تمام، حبيب بن أوس، ت ٢٣١هـ

أ- العنوان

ديوي ٢٤٠,٩٠١ ٢٢/٢٣٣٨

رقم الإيداع : ٢٢/٢٣٣٨

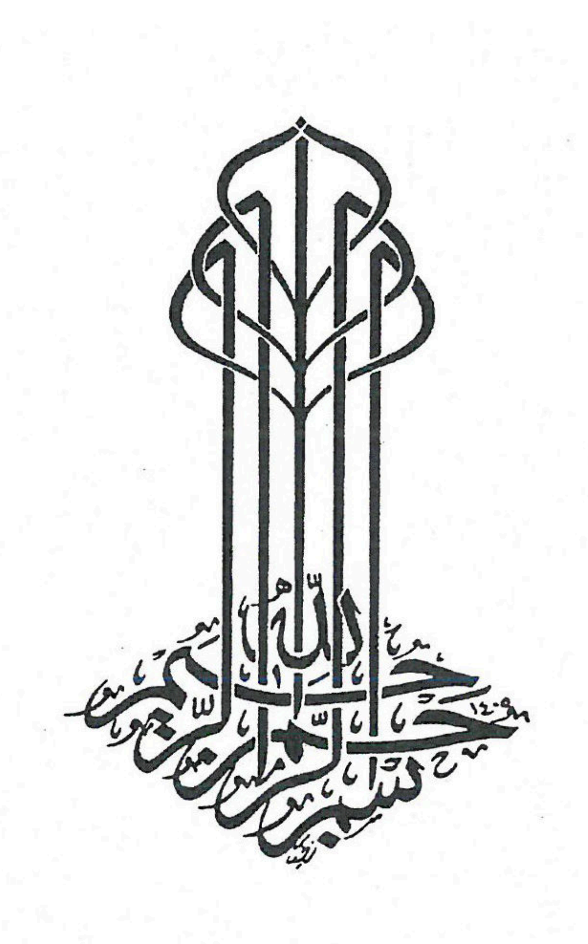
ردمك : ٧ -٤٧٢- ٣٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار اللؤلؤ والمرجان للنشر والتوزيع

تبوك - ص.ب: ٢٩٩٩ - ت: ٤٢٣٣١٦١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمدُ للهِ الذي رضي لنا الإسلامَ دينا، ونصبَ لنا الدلالة على صحته بُرهاناً مُبيناً، وأَوضحَ السبيلَ إلى معرفتِهِ واعتقاده حقًّا يقينا، ووعدَ من قامَ بأَحكامه وحفِظَ حدوده أَجراً جسيماً، وذخرَ لمن وافاه به ثواباً وفوزاً عظيماً[1].

والصلاةُ والسَّلامُ على من بعثه الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد:

فقد وقعَ في كفي في ربيع عام (١٤٢١هـ) مُصنَّف بعنوان: «شُعراء النَّصرانية بعد الإسلام» بقلم راقمه الصَّليبي النَّصراني المدعو: «الأب لويس شيخو»!

فلما طالعتُهُ أَلفيتُه أبتر أجذم أقطع، لا بسْملة ولا حمدلة في صدره؛ قد أَشهر مُسطِّرُهُ سيف الباطل في وجه الحقِّ والهدى، وأَصلت قضيبَ الزُّورِ والغواية في نحر نُعوت الإسلام، فراح يغمِزُ ويلمِزُ في بعض أعلامِ المسلمين، زاعماً نصرانيَّتهم بحججٍ باردةٍ ساقطةٍ لا زمام

---

(١) اقتباس من فاتحة كتاب ابن قيِّم الجوزيَّة: «هداية الحيارى في الردّ على اليهود والنَّصارى»: (ص/ ٩).

لها ولا خِطام.

ولم يكن يدور بخَلَدي يوماً أَنْ تُنْسَف عقيدةُ مُسلم مُوحِّدٍ بجرَّة قلم! وما أجمل ما قاله بعضُ السلف: «احذروا من النَّاس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحبُ دنيا أعمته دُنياه»[1].

وعقيدة «**حبيب بن أوس الطائي**»: (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) لم يجرِ فيها قولان، ولم يختلف فيها اثنان ـ ولا نزكي على اللهِ أحداً ـ، فقد أطبقتْ عليها الأَلسِنةُ، ومالتْ إلى صحتها الأَفئدة.

وبسبب تراكم أشغالي، وتقاذفِ آمالي؛ تشوَّفتُ وتطلَّعتُ إلى العثور على سِفر أو رقيم ينتصرُ لأبناء الإسلام، ويُلْجِم عُبَّاد الصَّليب والعِيدان؛ فلم أظفر بما يروي الغُلَّة ويشفي العِلَّة، وأصبحتُ كما قال ذو الرُّمَّة (١١٧هـ):

تــراهُ مُجتمعـاً حالاً فتُنكِرَهُ طوراً، ويسْطعُ أحياناً فينتسبُ[2].

وقد وقفتُ على جُملٍ حَسَنةٍ لبعض جهابذة الفنون الإسلاميَّة؛ شرحتْ صدري للكتابة في هذا الموضوع اليتيم، أسوقها هنا باقتضاب.

قال الذهبيُّ (٧٤٨هـ) في ترجمة الخطاط «علي بن هلال ابن البوَّاب» (٤١٣هـ):

---

(١) «إغاثة اللهفان»: (٢/ ٢٤١).

(٢) «ديوانه»: (ص/ ٣١). والبيت في وصف ذكر النَّعام.

«قلتُ: الكتابةُ مُسَلَّمَةٌ لابن البوّاب، كما أَنَّ أقرأ الأُمَّةِ أُبيٌّ بن كعب، وأقضاهم عليٌّ، وأفرَضهم زيد، وأعلمهم بالتأويل ابنُ عباس، وأمينهم أبو عُبيدة، وعابرهم محمدُ بن سيرين، وأصدقهم لهجة أبو ذر، وفقيه الأمة مالك، ومحدثَهم أحمدُ بن حنبل، ولُغويَّهم أبو عُبيد، وشاعَرَهُم أبو تمَّام، وعابدَهم الفُضيل، وحافِظَهُم سفيانُ الثوري، وأخباريَّهم الواقديُّ، وزاهدَهُم معروفٌ الكرخي، ونحويَّهم سيبويه، وعَرُوضِيَّهم الخليلُ، وخطيبَهُم ابنُ نُباتة، ومُنشِئَهم القاضي الفاضل، وفارسهم خالدُ بنُ الوليد. رحمهم الله»[1].

وقال الخطيب البغداديُّ (٤٦٣هـ):

«جالس الأُدباء وعاشر العُلماء، وكان موصوفاً بالظرف وحُسْن الأَخلاق»[2].

وقال ابنُ كثير: (٧٧٤هـ):

«وقد كان الشُّعراء في زمانه جماعة... وكان أبو تمَّام من خيارهم ديناً وأَدباً وأخلاقاً»[3].

وقد يتوهَّم بعضُ الأَغرار أَنَّ طرْق هذا الموضوع لا يَجلِبُ نفعاً، ولا يدفعُ ضَرّاً. ولعمري إِنَّ هذا القول فاسد من جهتين:

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء»: (١٧/ ٣١٩-٣٢٠).

(٢) «تاريخ بغداد»: (٨/ ٢٤٨).

(٣) «البداية والنهاية»: (١٠/ ٣٠٠).

الأولى: أَنَّ خصوم الحنيفيَّة إذ يقدحون في أعلام الإِسلام؛ هم بلا شك يطعنون في دين الله علمنا ذلك أم جهلناه، فتفنيدُ شبهاتهم والردّ على أقوالهم هو في حدّ ذاته نصرٌ لِملّة التوحيد، وإن كان في أصله ذوداً عن بعض أعلامِه.

الثانية: أنَّ معرفة الشر وفهمِ طُرقه - إذا كان لمصلحة راجحة - من أعلى منازل الدِّين، وممَّا يقرِّب إلى ربِّ العالمين.

وهذا حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - (٣٦هـ) يقول:

«كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكُنْتُ أسأله عن الشرِّ، مخافة أن يُدْركني..»[١].

وممَّا يُؤلم القلب أنْ نجد في بعض كتابات المحسوبين على الإِسلام: من يُؤيِّد ما ذهب إليه ذلكم الصَّليبي الفاجر من أنَّ أبا تمام كان نصرانيّاً!![٢].

وكيف يكون أبو تمام نصرانيًا وقد حفظ القرآن الكريم في صِّباه فتأثَّر به في نفسه وفي شعره.

---

(١) «صحيح البخاري: كتاب المناقب - باب علامات النبوة - رقم ٣٦٠٦».

(٢) «طه حسين» في كتابه: «من حديث الشِّعر والنَّثر»: (ص/ ٩٣). وقد نبَّه الأستاذ «شوقي ضيف» على خطأ «طه حسين» وأنكر عليه فيما ذهب إليه. انظر: «الفنّ ومذاهبه»: (ص٢١٩).

ومن أدلة ذلك قوله:

ثانيهِ في كبد السَّماءِ ولم يكن   لاثنينِ ثان إذْ هُما في الغارِ

وقوله:

هديَّةٌ من صَمَدِ جواد   ليس بمولودٍ ولا ولَّادِ[1]

فالأوَّل أخذه من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

والثاني أَخَذَهُ من قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وبين أناملي نصٌّ نفيس لعالمٍ نقَّاد، يُوصف بأنَّه «حَدَقة العِلم، وقُبَّة تاج الأدب»[2]، أسوقه هنا بتمامه، لمطابقته لِما نحنُ بصدده:

يقول القاضي أبو الحسن: «علي بن عبدالعزيز الجرجاني» (٣٦٦هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ:

«التفاضل ـ أطال اللهُ بقاءك ـ داعيةُ التنافس؛ والتنافسُ سببُ التحاسد؛ وأهل النقص رَجُلان: رجل أتاه التقصيرُ من قِبَله، وقَعَد به

---

(١) «ديوانه»: (٥٠، ٨٢).

(٢) «وفيات الأعيان»: (٣/ ٢٧٩).

عن الكمال اختيارُه، فهو يساهم الفضلاء بطَبْعه، ويحنو على الفضل بقدر سَهْمِه؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجاً بخِلقَته، ومؤثَّلاً في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقَصُرتْ به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ إلى حَسَد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغَ الأمور في جبْر نقيصته، وسَترِ ما كشفه العجْزُ عن عورته، اجتذابُهم إلى مُشاركته، ووسْمهم بمثل سِمَتِه، وقد قيل:

وإذَا أَرادَ اللهُ نَشْــــرَ فَضِيلَـــةٍ طُوِيَتْ أتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

قلت: صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تسْتَثْرِهَا المحاسد لم تبرحْ في الصدور كامنة، ومَنْقبةٍ لو لم تُزْعِجْها المنافسةُ لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحُسَّد تجْلُوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتَشْهَرُها وهي تحاول أن تَسْتُرَها؛ حتى عَثَر بها مَنْ يعرف حقها، واهتدى إليها مَنْ هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسنِ معرِض، واكتست من فضله أزينَ ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من برِّ والدها فنوَّهت بذكره، وقَدَرت على قضاء حقِّ صاحبها فرفعت من قَدْره ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم تزَل العلومُ ـ أيّدك الله ـ لأهلها أنساباً تتناصرُ بها، والآدابُ لأبنائها أرحاماً تَتَواصلُ عليها، وأدنى الشِّرك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له، والمحاماةُ دونه، وما مَنْ حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممَّن رَعَى حريمه أن يهتك، ولا حرمةَ أولى بالعناية،

وأحقُّ بالحماية، وأجدر أن يَبْذُل الكريمُ دونها عِرْضَه، وَيمتهن في إعزازها مالَه ونفسَه من حرمة العلم الذي هو رونق وجهه، ووقاية قدره، ومنار اسمه، ومطيّة ذكره.

وبحسب عظم مزيته وعلوِّ مرتبته يعظم حقُّ التشارك فيه، وكما تجب حياطتُه، تجب حياطة المتَّصل به وبسببه، وما عقوق الوالد البَرّ، وقطيعةُ الأخ المشفِق، بأشنعَ ذِكْراً، ولا أقبح وَسْماً من عقوق مَنْ نَاسَبَك إلى أكرم آبائك، وشاركَك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك، ومتَّ إليك بما هو حظُّك من الشرف، وذريعتُك إلى الفخر.

وكما ليس من شرْط صلة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميل في قصرها عن القَصْد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرَّف على حكم العدل كيف صرفك، وتقف على رسمه كيف وقفك، فتنتصف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحقِّ عليك شاهداً لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة ـ إذا قامت ـ محتجاً عنك إذا خَالفت، فإنه لا حال أشدُّ استعطافاً وأكثر استمالة للنفوس المشمئزة، من توقُّفك عند الشُّبهة إذا عرضت، واسترسالك للحجة إذا قهرت، والحكمِ على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبيهِ خصمك على مكامِن حِيَلك إذا ذهب عنها؛ ومتى عُرفْتَ بذلك صار قولُك برهاناً مسلَّماً، ورأيُك دليلاً قاطعاً، واتّهم خصمُك ما علمه وتيقنه، وشكَّ فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده، وإنْ عدَّلتهم المحبَّة، وجَبُن عن

إظهار حُجَجِهِ وإن لم تكن فيها غميزة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسُنُ فلم تعرض لك إلاَّ في الفَرْط والنُّدْرَة»[1].

وأبو تمَّام تجاذبتْه ثلاث طوائف ـ وهو منها براء ـ: الزنادقة والنَّصارى والشيعة العلويَّة! وقد أفرد «لُويس شَيْخو» (١٢٧٥ ـ ١٣٤٦هـ) فصلاً كاملاً في كتابه: «شعراء النَّصرانية بعد الإسلام»؛ قرَّر فيه نصرانية أبي تمَّام، وطمس على إسلامه لحاجةٍ في نفسهِ قضاها![2].

وقد ناقشتُ ذلك كُلّه قدر الطاقة، وبذلتُ الوسع في تحرير

---

(١) «الوساطة بين المتنبي وخصومه»: (ص/ ١٤ ـ ١٥).

(٢) اسمه الأصلي: «رِزقُ اللهِ بن يُوسف بن عبدالمسيح (!) شيخو». ولد في ماردين بالجزيرة الفراتيَّة، وانتقل إلى الشام، وتعلَّم في مدرسة الآباء اليسوعيِّين في لُبنان، وانتظم في سِّلك الرهبانيَّة اليسوعية سنة (١٨٧٤م)، وقام برحلات إلى بلاد أوربا والشرق. أنشأ مجلَّة «المشرق» سنة (١٨٩٨م)، وكان يكتُبُ أكثر مقالاتها لمدة خمسٍ وعشرين سنة. قال الزركلي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكان همُّه في كُل ما كتب، أو في مُعْظمِه، خِدمةُ طائفته». وتوفي في بيروت. وللمترجم كتب كثيرة، منها: «شعراء النصرانية»، و«تفنيد التزوير لمحمد طاهر التنير» وهو ردّ على كِتاب «العقائد الوثنيّة في الدِّيانة النَّصرانية» لمحمد طاهر.

انظر عن ترجمته: «مجلَّة المجمع العلميّ العربي»: (٨/ ٢٣١)، و«الأعلام للزركلي»: (٥/ ٢٤٧)، و«معجم المطبوعات»: (٢/ ١١٦٦)، وفيه تبجيل واضح له، لأنَّه من بلديَّاته في حُبّ الصَّليب!.

المسائلِ وتبويبها، ومن الله الجزاء. ولم أرقم هذا السِّفر لأنَّني من «طيء»، أو لإعجابي بشعر أبي تمَّام؛ بل نصراً للحق، ودفاعاً عن الحنيفية، وذوداً عن حِياض الدِّين، وهذا بعض حق الإسلام علينا.

ورحم الله شيخ الإسلام «ابن تيمية» (٧٢٨هـ) إذ يقول: «وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعضُ عِلم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه . . .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: طرفان ووسط: فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله وافقه في كل ما يظن أنه حدَّث به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً، وخيار الأمور أوساطها وهو: أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده»[١].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

«قيّده راقِمهُ»

في سلخ شهر الله المحرَّم لعام ١٤٢٢هـ

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيميَّة»: (١١/ ٢٠١).

«تمهيد في ترجمة أبي تمام»[1]

أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى بن مروان بن مُر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن الغوث بن طيئ - واسمه جُلهُمة - بن أدَدَ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن يشجب بن يعرب بن قَحطان الشاعر المشهور؛ وذكرَ أَبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي في كتاب: «الموازنة بين الطائيين» ما صورته: والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام: أنَّ أباه كان نصرانيًا من أهل جاسم، قرية من قرى دمشق، يقال له: تَدوس العطار، فجعلوه أوساً[2]، ولقد لُفِّقَت له نسبة إلى طيء، وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود، وهذا باطل ممن عمله، ولو كان نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيئاً بعشرة آباء.

وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام:

---

(١) هذه الترجمة مُسْتَلَّة من ترجمة ابن خلكان لأبي تمام، من كِتابه: «وفيات الأعيان»، وقد أثبتُّها من بين التراجم لجودتها وشمولِها، وقد تصَرفتُ فيها يسيراً.

(٢) تحدثتُ في الفصل الرابع عن مسألة نصرانيَّة والد أبي تمَّام، وناقشتُ من أثبتَها، ولم أر دليلاً على إثباتها، ولم أجترئ على نفيها! وقلتُ إنَّ في النَّفْس مِنها شيء، والله أعلم بخاتمة عباده.

إن كانَ مسعود سقى أطلالهمْ   سَبَلَ الشؤون فلستُ من مسعودِ

وقد سقط في النسب بين قيس ودفاقة ستة آباء.

وقول أبي تمام: «قلت من مسعود» لا يدلّ على أن مسعوداً من آبائه بل هذا كما يقال: «ما أنا من فلان ولا فلان مني» يريدون به البعد منه والأنَفة، ومن هذا قول النبي ﷺ: **«ولد الزنا ليس منا»** و**«عليّ مني وأنا منه»**[1].

وقد ساق الخطيب أبو بكر في «تاريخ بغداد» نسبَه، وفيه تغيير يسير.

وقال الصولي: قال قوم: إن أبا تمام هو حبيب بن تدرس النصراني، فغير، فصار أوساً.

كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه، وله كتاب «الحماسة» التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع آخر سماه «فحول الشعراء» جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين، وله كتاب «الاختيارات من شعر الشعراء»[2] وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه

---

(١) لم أجد هذين الحديثين بهذا اللفظ فيما بين يديّ من مصادر.

(٢) انظر عن مؤلَّفاته ومخطوطاتها: «الوحشيَّات، لأبي تمَّام»: تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني، و«تاريخ الأدب العربي، بروكلمان»: (٢/ ٧٦، ٧٩). و«كشف الظنون»: (١/ ٧٧١). و«الأعلام، للزركلي»: (٢/ ١٦٥)، و«معجم المؤلفين، لكحَّالة»: (١/ ٥٢٤).

غيره، قيل: إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد، وقصد البصرة وبها عبدالصمد بن المعذَّل الشاعر، فلما سمع بوصوله ـ وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه ـ فخاف من قدومه أن يميل الناس إليه ويُعرضوا عنه، فكتب إليه قبل دخوله البلد:

أنتَ بينَ اثنتين تبرُزُ للناسِ   وكلْتَاهُمَا بوَجهِ مذالِ
لستَ تنفكّ راجياً لوصال   من حبيبٍ أو طالباً لِسؤال
أيّ ماء يبقى لوَجهكَ هذا   بينَ ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع، وقال: قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه.

ولما قال ابن المعذَّل هذه الأبيات في أبي تمام، كتبها ودفعها إلى ورّاق كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدُهما الآخر، وأمر أن تُدفع إلى أبي تمام، فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب:

أفيَّ تنظم قول الزور والفندِ   وأنتَ أنقصُ من لا شيء في العَدَدِ
أشرَجتَ قلبكَ من غيظٍ على حنقٍ   كأنّها حرَكات الرُّوح في الجسَد
أقدَمْتَ وَيلكَ من هجوي على خطرٍ   كالعير يقدم من خوفٍ على الأسَد

وحضر عبدُ الصمد، فلما قرأ البيت الأول قال: ما أحسن علمه بالجدل، أوجبَ زيادة ونقصاناً على معدوم، ولما نظر إلى البيت الثاني قال: الإشراج من عمل الفراشين ولا مدخل لها ههنا، فلما قرأ البيت الثالث عضَّ على شفته وقال: قتل.

وقال الصولي: قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب «المصايد والمطارد» عند قوله فيه: وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكرَ الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شمّ ريحه.

ولما أنشد أبو تمام أبا دُلَف العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها:

على مِثلها مِنْ أربُعٍ ومَلاعِبِ أُذيلَتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له: والله إنها لدون شعرك، ثم قال له: والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيتَ به محمد بن حميد الطوسي[1]، فقال أبو تمام: وأيّ ذلك أراد الأمير؟ قال: قصيدتك الرائية التي أولها:

كذا فليَجلّ الخطْبُ وليَفدَحِ الأَمرُ فليسَ لِعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

وددت والله أنها لك فيّ، فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله، فقال: إنه لم يمتْ من رُثي بهذا الشعر.

وقال العلماء: خرج من قبيلة طيىء ثلاثة، كل واحد مجيد في بابه: حاتم الطائي في جوده، وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبو

---

(١) «محمد بن حميد الطوسي» (ت٢١٤هـ): والٍ، من قُوّاد جيش المأمون العبّاسي. كان شديداً على «الخرمية»: القائلين بالحلول والتناسخ والرجعة. وكان حتْفُهُ على أيديهم غيلة، وحزن المسلمون عليه، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات»: (٣/ ٢٩).

تمام حبيب بن أوس في شعره.

قال ابن خلكان: وأخباره كثيرة ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته السينية، فلما انتهى فيها إلى قوله:

إقدامُ عمرو في سماحَةِ حاتم   في حِلم أحنَفَ في ذكاءِ إياس

قال له الوزير: أُتشبِّه أمير المؤمنين بأجلاف العرب؟ فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وأنشد:

لا تنكروا ضَربي له من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فقال الوزير للخليفة: أيَّ شيء طلبه فأعطه، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر، فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ قال: أريد الموصل، فأعطاه إياه، فتوجه إليها، وبقي هذه المدة ومات؛ وهذه القصة لا صحة لها أصلاً[1].

وقد ذكر أبو بكر الصولي في كتاب «أخبار أبي تمام» أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد بن المعتصم وانتهى إلى قوله «إقدام عمرو ـ البيت المذكور» قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي الفيلسوف، وكان حاضراً: الأمير فوقَ من وصفت. فأطرق قليلاً ثم زاد البيتين

---

(1) وقد وافقه الحافظ الذهبيُّ على ذلك كما في «سير أعلام النُّبلاء»: (١١/٦٩).

الآخرين، ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين، فعجبوا من سرعته وفطنته.

ولما خرج قال أبو يوسف، وكان فيلسوف العرب: هذا الفتى يموت قريباً.

ثم قال بعد ذلك: وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته، وليس بشيء، والصحيح هو هذا.

قال ابن خلكان: وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته للموصل، فلم أجد سوى أن الحسن ابن وهب ولاّه بريد الموصل، فأقام بها أقلّ من سنتين ثم مات بها.

والذي يدل على أن القضيّة ليست صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحدٍ من الخلفاء، بل مدح بها أحمد بن المعتصم، وقيل: أحمد بن المأمون، ولم يل واحد منهما الخلافة، والحيصَ بيصَ ذكر في رقاعه السبع اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بايعقوبا أنَّ الموصل كانت إجازة لشاعر طائي، فإما أنه بنى الأمر على ما قاله الناسُ من غير تحقيق، أو قصد أن يجعل هذا ذريعةً لحصول بايعقوبا له، والله أعلم، وتابعه في الغلط ابن دحية في كتاب «النبراس».

وذكر الصولي أن أبا تمام لما مدح محمد بن عبدالملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله:

دِيمَـةٌ سمحـةُ القيـادِ سَكـوبُ   مشغيـث بهـا الثـرى المكـروبُ
لو سعَتْ بقعة لإعظام أخرى   لسعى نحوها المكانُ الجديبُ

قال له ابن الزيات: يا أبا تمام، إنك لتُحلِّي شعرَك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يُدّخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في المؤازرة. وكان بحضرته فليسوف، فقال له: إن هذا الفتى يموت شاباً، فقيل له: ومن أين حكمت عليه بذلك؟ فقال: رأيتُ فيه من الحِدَّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسّ وجودة الخاطر ما علمتُ به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيفُ المهند غِمْدَهُ، وكذا كان، لأنه مات وقد نيّف على ثلاثين سنة[1].

قال ابن خلكان: وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ مولده، ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، ثم جمعه عليّ بن حمزة الأصبهاني، ولم يرتبه على الحروف، بل على الأنواع.

وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين ومائة، بجاسم، وهي قرية من بلد الجيدور من أعمال دمشق بين دمشق وطبرية، ونشأ بمصر، قيل: إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر، وقيل: كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خماراً بها، وكان أبو تمام أسمر

---

(١) الصحيح أنّه توفي سنة (٢٣١هـ)، وله من العمر ثلاثةٌ وأربعون عاماً.

طويلاً فصيحاً حُلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ثم اشتغل وتنقَّل إلى أن صار منه ما صار .

وتوفي بالموصل ـ على ما تقدم ـ في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل : إنه توفي في ذي القعدة، وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين، وقيل : تسع وعشرين ومائتين، وقيل : في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى .

قال البحتري : وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة[١]، قلت : ورأيتُ قبره بالموصل خارج باب الميدان، على حافة الخندق، والعامة تقول : هذا قبر تمام الشاعر .

وحكى لي الشيخ عفيفُ الدين أبو الحسن بن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم، قال : سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر ـ عن معنى قوله :

سَقى الله دوحَ الغُوطَتين ولا ارتوتْ   من الموْصل الحدْباء إلا قُبورها

لِم حرمها وخصَّ قبورها؟ فقال : لأجل أبي تمام .

وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب ـ ومطلعها :

---

(١) بناء القباب على القبور ذريعة إلى الشرك، وعبادة غير الله تعالى، وصاحب القبر إن كان موصياً أو راضياً بهذا، فعليه وزره، ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا!.

أشاقَكَ من عليا دمشق قصورها ... وولدان أرض النيربين وحورها

وهي من أحسن قصائده.

ورثاه الحسن بن وهب بقوله:

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشُّعَراءِ ... وغدير روضتها حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حُفرةٍ ... وكذاك كانا قبلُ في الأحياء

وقيل: إن هذين البيتين لديك الجن رثى بهما أبا تمام، والله أعلم.

ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة:

سقى بالمَوصلِ القبرَ الغريبا ... سحائِبُ ينتحبْنَ له نحيبا

إذا أظللنه أظللن فيه ... شعيب المزن يتبعها شعيبا

ولطَّمْنَ البروق به خدوداً ... وشقَقْنَ الرعود به جُيوباً

فإنّ ترابَ ذاك القبر يحوي ... حبيباً كان يُدْعى لي حبيبا

ورثاء محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم بقوله وهو يومئذ وزير، وقيل: إنهما لأبي الزبرقان عبدالله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية:

نبأ أتى من أعظمِ الأنباءِ ... لمَّا ألمّ مُقَلقِلُ الأحشاءِ

قالوا حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ... ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

ولأبي تمام المذكور:

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه ... لظل يلثم منه موطئ القدم[1]

---

(١) وهذا البيت فيه إطراء وغلوّ، فتنبَّه.

وللبحتري أيضاً في هذا المعنى :

ولو أن مشتاقاً تكلَّف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنيرُ

ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم يجد من يوصلهما إليه، وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق، ثم صار إلى العراق في خلافة المعتصم، فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال فيها :

ثم انبرت أيامُ هجرٍ أردفت ... نحوي أسًى فكأنها أعوامُ

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلامُ

فأخذها حتى بلغ فيها :

تضعضعت عبرات عينك أن دعت ... ورقاء حين تضعضع الإظلام

لا تشجيَنّ لها فإنّ بكاءها ... ضحكٌ وإنّ بكاءك استغرام

هُنَّ الحَمام فإن كسرت عيافةً ... من حائهن فإنهُنَّ حِمام

حكي عن يموت بن المزرع قال : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره أمر غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أو يصلي مائة ركعة، فكان هذا دأبه ؛ قال : فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأتاه أبو عبدالله الحسين بن عبدالسلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد، فقال له : عرفت الشرط؟ قال : نعم، فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً ... كما بالمدح تنتجع الولاةُ

فقلنا أكرم الثقلين طُرّاً ... ومن كفيه دجلة والفرات

قالوا يقبل المدحات لكن جوايزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي صلاتي إنما الشأن الزكاة
فيأمرني بكسر الصاد منه فتصبح لي الصلاة هي الصِلات

فضحك ابن المدبر وقال: من أين أخذت هذا؟ ومن أين وقع لك؟ فقال: أخذته من قول أبي تمام:

هُنّ الحمَامُ فإن كسرت عيافة

قال: فأعجبه صدقُهُ ووصله.

ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها:

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي

ويقول فيها:

أوليّ أمَّةِ أحمدٍ ما أحمد بمضيعِ ما أوليتَ أمةَ أحمدِ
أما الهدى فقد اقتدحت بزنده للعالمين فويل من لا يهتدي

حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال: حدثني يحيى بن علي قال: كان محمد ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلاً على أبي تمام، فقلت له: بأيّ شيء قدمته؟ فلم يأت بمقنع، فجعلت أنشده محاسنهما، فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا عيوب دعبل أعظم وأفحش، وأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت:

يا أبا جعفر أتحكم في الشعـ ـرِ وما فيك آلة الحُكَّامِ
إنّ نقد الدينار إلا على الصيـ ـرف صعب فكيف نقد الكلام
قد رأيناك ليس تفرق في الأشـ ـعار بين الأرواح والأجسام

إنمـا يعـرف العتيـق مـن المحـ ـدث قيْن في وقت عرض الحسام
لا تقـس دعبـلاً إذن بحبيـبٍ ليس خُفّ البعير مثل السنام

قال عبدالله بن المعتز: جاءني محمد بن يزيد النحوي فجرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه، فقال له رجلٌ من الكتاب كان في المجلس، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه: يا أبا العباس، ضع يدك على من شئت من الشعراء، ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه:

لعمري لقد أقوت مغانيكُم بعدي ومحت كما محت وشائع من بردِ
وأنجدتمُ من بعد اتهام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجدِ

ثم مرّ فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار:

أتاني مع الركبان ظن ظننته لففتُ له رأسي حياءً من المجدِ
كـريـم متـى أمـدحـه والـورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي

حدَّث الصولي قال: كان أبو تمام إذا كلَّمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعدَّ جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام لِمَ لا تقول من الشعر ما يُعرَف؟ فقال: وأنت لِمَ لا تعرف من الشعر ما يُقال؟ فأفحمه، وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلاً بالظاهرية.

قال علي بن محمد بن عبدالكريم: لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها:

أرامة كنت مألف كل ريم

فاتصل خبرها بعتبة بن عُصيم الذي يهجوه أبو تمام، وهو كلبي من قضاعة، وكان أديباً شاعراً، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام، فقال لمن حضر: ايتوني به، فجاءوا به فأنشده إياها، فلما فرغ قال: أحسنت يا غلام على صغر سنك، فسكت أبو تمام وقال: يا عم أنشدني من شعرك، فأنشده قصيدة، فلما فرغ قال: يا عم ما أحسنت على كبر سنك، فقال عتبة لبني عبدالكريم: أخرجوا هذا من بلدنا فليس يَصلح أن يقيم في بلدنا.

قال الصولي: ومن باب الجود قول أبي تمام:

بيُمن أبي إسحاق طالت يد الهدى وقامتْ قناةُ الدين واشتد كاهله
هو البحر من أيِّ النواحي أتيته فلجّتُهُ المعروف والجود ساحله
تعوَّد بسط الكف حتى لو أنّه دعاها لقبضٍ لم تجبه أنامله

وللبحتري في هذا المعنى:

لا يتعب النائل المبذول همتَهُ وكيف يُتعِبُ عينَ الناظر النظرُ

وهذان البيتان لا غاية وراءهما.

قال ابن أبي داود لأبي تمام: إن لك أبياتاً أنشدتها فلو قلتها زاهداً أو معتبراً أو حاثًّا على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت، فأنشدنيها، قال: ما هي؟ قال: التي قافيتها «فأدخلها»، فأنشده:

ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنةُ الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها

حدّث الصولي قال: دخل أبو تمام على أحمد بن أبي دواد فقال

له: ما أحسن هذا فمن أين أخذته؟ قال: من قول الحاذق في الفضل بن الربيع:

وليـــس لله بمستنكـــر أن يجمع العالم في واحد

وحدَّث الصولي عن الحسن بن وهب قال: لما أُدخل المازيار على المعتصم وكان عليه شديد الغيظ قيل له: لا تعجل عليه فإن عنده أموالاً جمة، فأنشد بيت أبي تمام:

إن الأسُود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلَبِ

ثم قتله؛ وكذلك جمال الدِّين بن رشيذ أفتى ببيت المتنبي في النصراني الذي سبّ رسول الله ﷺ أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدمُ

فعمل بمقتضاه.

وحدّث علي بن يحيى بن علي بن مهدي قال: كان المنجمون حكموا لما خرج المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه، فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ وانصرف سالماً، قال أبو تمام:

السيف أصدق إنباءً من الكتبِ في حدِّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والرِّيَب

والعلمُ في شُهُبِ الأرماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشُّهُب

وقيل: إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة أيام، فقال له المعتصم: لِمَ تجلو علينا عجوزك؟ قال: حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين، فأمر له بمائة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها ألف.

قال الحسن بن وهب: دخل أبو تمام على محمد بن عبدالملك الزيات فأنشده قصيدته التي أولها:

لهان علينا أن نقول وتفعلا

فلما بلغ إلى قوله:

ووالله لا آتيك إلاّ فريضةً وآتي جميع العالمين تنفُّلا
وليس امرءاً في الناس كنت سلاحه عشية يلقى الحادثات بأعزلا

فقال: أما والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك، ولكن تنقص مدحك ببذلك له لغير مستحقه، فقال: لسان العذر معقول وإن كان فصيحاً، ومرّ في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم وكتب إليه بعد ذلك:

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما يغالي إذا ما ضن بالشيء بايعه
فأما الذي هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضايعه

فأجابه أبو تمام:

أبا جعفر إن كنت أصبحت تاجراً أساهل في بيعي له من أبايعه
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعه

قال الصولي: لما كلم خالد بن يزيد بن أبي دواد في أمر أبي تمام، قال أبو تمام يشكره:

لأشكرنك إن لم أُوتَ من أجلي شكراً يوافيك عني آخر الأبدِ
وإن توردتُ من بحر البحور ندىً فلم أنل منه إلا غرفةً بيدي

قال محمد بن يزيد النحوي: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفَره وأمره أن لا يقيم إن كان عازماً على الخروج، فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد ليتصيد فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور، فقال: حبيب؟ قال: خادمُكَ وعبدُكَ، فقال له: ما فعل المال؟ فقال:

علّمني جودك السماح فما ... أبقيتُ شيئاً لديَّ من صلتك
ما مرّ شهرٌ حتى سمحت به ... كأنّ لي قدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي ... الساعة ما تجتبيه في سنتك
فلست أدري من أين تنفق لو ... لا أنّ ربّي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها وانصرف.

ولأبي تمام وقد اعتل إلياس صاحب عبدالله بن طاهر:

فإن يكن وصَبٌ قاسيتَ سَورَتَهُ ... فالوِردُ حلفٌ لليث الغابةِ الأضمِ
إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجدٍ ولم يَعبأنَ بالرَّتم
بنات نعشٍ ونعشٌ لا كُسوفَ لها ... والشمسُ والبدرُ منها الدهر في الرقم
فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت ... حتى جلتْ صدأ الصمصامةِ الخذم
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنِّعم

قال محمد بن هبيرة النحوي: حُجب أبو تمام عن إسحاق بن إبراهيم المصعبي فقال:

يا أيها الملك المرجوُّ نائلهُ ... وجودُهُ لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقصٍ عنك آملهُ   إنّ السماء تُرجى حين تحتجب

وقيل لأبي تمام: قد هجاك مخلّد الموصلي فلو هجوتَهُ، قال: الهجاء يَرفَعُ منه إذ ليس هو شاعراً؛ لو كان شاعراً لم يكن من الموصل، يعني أن الموصل لا يخرج منها شاعر، وكان مخلد قد هجاه بقوله:

يا نبيّ الله في الشعـ   ـر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق اللـ   ـه ما لم تتكلم

وكان لأبي تمام حبسة إذا تكلم. قرأتُ في كتاب «المستنير» أن أبا تمام والخثعمي اجتمعا في مجلس أنسٍ، فقام أبو تمام إلى الخلاء فقال له الخثعمي: ندخلك؟ قال: نعم وأخرجك، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب.

وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر من قدحين، فكتب إليه يوماً يدعوه: إن رأيت أن تنام عندنا فافعل.

ودخل على جعفر بن سليمان يعزّيه بأخيه محمد بن سليمان، وقد كان جزع عليه جزعاً عظيماً، فقال جعفر حين رآه: إن يكن عند أحد فرجٌ فعند حبيب، فلما سلّم قال: أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله، واذكر مصيبتك في نفسك تُنسِك مصيبتك في غيرك والسلام.

ومحاسن حبيب كثيرة.

وجاسم: بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم.

وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه.

والجَيْدورُ ـ بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء ـ وهو إقليم من عمل دمشق يجاور الجولان.

والطائي: منسوب إلى طيء القبيلة المشهورة، وهذه النسبة على خلاف القياس، فإن قياسها طيْئيّ، لكن باب النسب يحتمل التغيير، كما قالوا في النسبة إلى الدَّهر: دَهري، وإلى سَهل: سُهلي ـ بضم أولها ـ وكذلك غيرهما(١).

---

(١) «وفيات الأعيان»: (٢/ ١١ ـ ٢٦). و«سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٦٣ ـ ٦٩) و«تاريخ الطبري»: (١/ ١٩٤، ٩/ ٥٥ ـ ١٢٤). و«تاريخ بغداد»: (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٥٣). و«الأنساب»: (٨/ ١٨٨). و«تهذيب تاريخ دمشق»: (٤/ ٢١). و«اللُّباب»: (٢/ ٧٨). و«طبقات الشعراء»: (٢٣٥ ـ ٢٥٠). و«البداية والنهاية»: (١٠/ ٣٠٨). و«حسن المحاضرة»: (١/ ٥٥٩). و«الولاة والقضاة»: (١٨٠ ـ ١٨٦). و«الفهرست»: (ص٢٤١). و«سرح العيون»: (٣٧٧). و«معاهد التنصيص»: (١/ ٣٨). و«ملء العيْبة»: (٢/ ١٠٤ ـ ٢٥٠). و«نشوار المحاضرة»: (٢/ ١٤٢). و«نزهة الألبَّا»: (١٢٣ ـ ١٢٥). و«الروض المِعطار»: (٢١٧ ـ ٤١٤). و«مرآة الجنان»: (٢/ ١٠٢). و«الأعلام»: (٢/ ٧٠)، و«معجم المؤلفين»: (٢/ ١٨٣). و«أبو تمَّام، حياته وحياة شعره»: (١٠ ـ ٤٠). و«أخبار أبي تمام للصُّولي»: (٤ ـ ١٠٠). و«هبة الأيَّام»: (٧ ـ ٢٠). وتاريخ الأدب العربي لفرّوخ»: (٢/ ٢٥٢). و«أبو تمام كما جاء في المراجع العربية والأجنبيَّة» لـ «سركيس عوّاد». «ودراسة فنية ونفسيَّة لشعر أبي تمام» لـ «محمد عطا». و«نقد كتاب الموازنة بين الطائييْن»: (١٦٥ ـ ١٨٩)، لـ «محمد رشاد صالح».

الفصل الأول

* لماذا جنى لويس شيخو على عقيدة أبي تمّام؟

يكاد المرءُ يعجب من تشكيك «لويس شيخو» في عقيدة أبي تمَّام المسلمة، وجنايته ضد حنيفيته وفطرته المستقيمة! ألهذا الحدّ بلغ الأمر غايته في الطعن ضد أعلام الإسلام وأتباعه! وسُرعان ما ينجلي الأمر، وتُزاح الغاشية، وتتبدَّد السُّحب حين يتحقَّق لنا أنَّ وراء هذه الجناية الفاسدة ثلاثة عوامل:

الأوَّل: التشكيك في تاريخ الأمة وتراثها:

ولا يكون ذلك إلا بسلخ التاريخ الإسلاميّ واقتلاعه من جذوره، ومن ثمّ تصويره للملأ تصويراً زائفاً، حتى إذا سُئِلَ عنه مسؤول! قيل إنَّه تاريخ الإسلام!!. ولا نذكر جديداً إذا قررنا أَنَّ النَّصارى، ونصارى العرب ـ خاصَّة ـ كما يُطلق عليهم، كانوا من أكثر المشككين في تاريخ الإسلام وتُراثه. ويُعدُّ «لويس شيخو» من زمرتهم، وأحد أرباب أقلامهم، خرَّجته مدرسة «الآباء اليسوعيين» في «غزير» بلبنان، التي لا يختلف اثنان في خُبْث طويتها ضد الإسلام، ومرارة حِقدها على تاريخ المسلمين!.

ولا تزال أسقفة النَّصارى تُفرز أكاذيبها وافتراءاتها ضد الإسلام والمسلمين. وبين يديَّ الآن خِطاب من المجلس المِلّي الأرثوذكسي، وقَّعه الأُسقف العام ورئيس المجلس والنَّائب العامّ البابويّ «ثيموثاوس»[1]، وهي رسالة كلها قَذَر وعَفَن وفُجور في الإسلام وفي الرسول محمد ﷺ!! ولا أتجرَّأ أنْ أسرد ما حوته من عفنٍ وقَذَرٍ لهول وفظاعة عباراتها وجُمَلها، والله حسيبُهم على ما دسُّوه من زور وبُهتان.

الثاني: الحِقد ضد أعلام الإسلام:

فقد كبُر في نفس «لويس شيخو» أن ينعت «أبو تمَّام» نعتاً إسلامياً، ويُدْرَج في قوائم أعلام الإسلام، فما كان مِنْه إلاّ أن مسخ عقيدته مسخاً كليًّا طمس معالمها وهدم أركانها بجرّة قلم لحاجة في نفسِهِ قضى وطرها!

وهذا ديدن كثير من النَّصارى في مشارق الأرض ومغاربها: غِلٌّ ضد أعلام الإسلام، وحِقدٌ دفين تؤزه أنياب الباطل أزّاً، وافتراءات إبليسيَّة تدفعها النفوس المريضة دفعاً، لتُلقي بكل ذلك في خندق الإسلامية والإيمانية ما تُلقي من سموم وزيوف وأهوال!

وتلك الضغينة والمقت ضدّ الإسلام والمسلمين، أَولع به النَّصارى، فباحت بها قلوبهم قبل ألسنتهم مُنْذ الأزل، إذ رموا الله تعالى

---

(١) انظرها بتمامها في كتاب: «ردّ مُفتريات المبشِّرين على الإسلام»: (٣١ - ١٦٩). و«ثيموثاوس» اسم تاريخيّ لتلميذ من تلاميذ بولس.

بالإفك، وزعموا «أنَّ الله تعالى نزل عن كرسيّ عظمته فالتحم ببطن أُنثى وأقام هناك مُدَّةً من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء تحت مُلتقى الأعكان، ثم خرج صبيًّا رضيعاً يشبُّ شيئاً فشيئاً ويبكي ويأكل ويشربُ ويبولُ وينامُ ويتقلَّبُ مع الصبيان، ثم أُودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلّم ما ينبغي للإنسان، هذا وقد قُطعت منه القُلْفة حين الخِتان، ثم جَعل اليهود يطردونه ويُشرِّدونه من مكانٍ إلى مكان، ثم قبضوا عليه وأحلُّوه أصناف الذُّل والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التِّيجان، وأركبوه قصبةً ليس لها لِجام ولا عنان، ثم ساقوه إلى خشبة الصُّلب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان، ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثم شُدَّت بالحبال يداه ومع الرجلان، ثم خالطهما تلك المسامير التي تكسر العظام وتُمزِّق اللحمان، وهو يستغيث: يا قوم ارحموني! فلا يرحمه منهم إنسان، هذا وهو مُدبِّر العالم العلويّ والسلفي الذي يسأله من في السموات والأرض، كل يوم هو في شأن»[1]. وهلم جراً في سلسلة سوداء من الكذب والمين والبهتان، صنعتها ألسنة عبدة الصُّلبان، فيالله ما أجرأ القوم على عقيدتنا وتوحيدنا وإيمانا وأعلامنا.

الثالث: كسب المزيد من الأنصار المناوئين للإسلام:

فالقوم أُسقط في أيديهم أنَّ ساحة الغدر والخيانة لم تتسع

---

(1) هداية الحيارى: (١٠ ـ ١١).

لغيرهم، فنسجوا الأحابيل للإيقاع بشباب الهداية ممن اخضرّ شاربه ولانت قناته وضعُف إيمانه، فلوّنوا عليهم الأخبار، ودسُّوا عليهم ما أفسد تاريخهم وعقيدتهم وإيمانهم، فانساق معهم كثير من الأغرار، وقلّدوهم في أخبارهم التي لفَّقوها من مُصنَّفات «جورجي زيدان» (١٣٣٣هـ)، «وكارل بروكلمان» (١٣٧٥هـ)، و«أبي الفرج الأصفهاني» (٣٥٦هـ)، وثُلَّة من حُثَالة المُستشرقين والمستعربين، «ثلاث عوراتٍ لكم»!!

وأصبح التقليدُ الأعمى رُكْناً ركيناً في فِكر بعضٍ مِنَّا، وهذا ذكَّرني بقصة مَثَل قديمة تحكي شيئاً مما نُسطِّره هنا:

سكنت عائلة بشريَّة في غابة مُعْظَمُ من فيها قرود وثعالب، وأخذت هذه العائلة البشرية تُمارس عيشها داخل هذه الغابة وفق طريقتها البشرية، إلا أن جماعات القرود والثعالب أخذت تَسخْر من هذه العائلة ومن طريقة عيشها، ومن أنظمة حياتها وأخذت القرود تقهقه بأصواتها المنكرة العالية متهكِّمة بها ساخرة منها، ثم أخذت نابغات هذه القرود والثعالب تُعْرب عن أسباب استغرابها من هذه العائلة البشرية، وأسباب استنكارها لها.

قال فريق منها: يا للعجب العجاب، إن هؤلاء الساكنين معنا في هذه الغابة يمشون على أقدامهم، مع أن الوضع الملائم الذي تقتضيه الطبيعة أن يكون المشي على أربع، وترددت في الغابة أصداء موجات متعاقبة من قهقهة القرود وعواء الثعالب.

ثم قال فريق آخر: وأعجب من ذلك أنهم لا أذناب لهم، مع أن الوضع الذي تقتضيه الطبيعة أن يكون لهم أذناب، إذ أن معظم ساكنات الغابة من ذوات البأس والشدة ذوات أذناب، فعلَّق على ذلك ثعلب خبيث، وقال: لعل أذناب هؤلاء مقطوعة!

وكثرت الانتقادات على هذه العائلة البشرية المسكينة بين هذه الجموع البهمية الكثيرة. القرود تسخر منها لأنها لا تستطيع أن تتسلق الأشجار الباسقة الشاهقة بالسرعة التي يستطيعها القرد، والثعالب تسخر منها لأنها لا تعرف كيف تصيد الدجاج والبطَّ بأسنانها وأظفارها، ولا تستطيع ابتلاعها وازدرادها بلحمها وريشها وعظمها وحشوها، وهكذا إلى آخر الفروق بينها وبين الناس، والذي يقوي مركز هذه المقهقهات الساخرات أنها ذات قوة وكثرة في الغابة.

وبسبب كثرة الانتقادات التي هي من هذا النوع، وبسبب تتابع مظاهر السخرية والتهكم تأثر بعض صغار العائلة البشرية من ذكور وإناث، فأخذوا يتنازلون عن صفاتهم البشرية، وطرائق عيشهم الخاصة وأنظمة حياتهم.

فمنهم من تعلَّم المشي على أربع، ومنهم من ذهب يستجدي من القرود والثعالب أذناباً ليضيفها إلى جسده، وبعضهم حلا له أن يرتدي جلوداً من جلود موتاها، ليبدو مظهره مثل مظهرها، وأخذ يتعلَّم طريقة عيشها وفوضى حياتها، ولما انغمس هؤلاء الصغار في هذا العالم الجديد، عادوا إلى أهليهم بنظريات التحويل وتنكيس الأوضاع

الإنسانية داخل أُسرتهم، لتُساير سكان الغابة في فوضاها وبهيميتها، هرباً من نظرات الاستنكار وقهقهاته التي تستقبلها بها جماعات القرود والثعالب[1].

فلا مناص إذاً من أهميَّة الوقوف على دسائس النَّصارى ومن ناصرهم، وغيرهم من أئمة الغواية في كل زمان ومكان، والله حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

---

(١) «أجنحة المكر الثلاثة» (٤٨٥ ـ ٤٨٦).

الفصل الثاني

* كيف جنى «لويس شيخو» على عقيدة أبي تمّام؟

ساق «لويس شيخو» النَّصراني خمسة أدلة زعمَ من خلالها أنَّ أبا تمام كان نصرانيًا، وهذه الأدلَّة هي:

أولاً: «اتفق من ذكر والد أبي تمام، كالصُّولي والآمدي أنَّه كان نصرانيًا فلابُدَّ أَنَّ ابنه حبيباً ولد ونشأ على دينه، ومن هذا القبيل يجوز القول أنَّ أبا تمام كان نصرانيًا»!

ثانياً: «لنا في اسمه حبيب وهو من الأسامي الشائعة بين النَّصارى والنَّادرة بين المسلمين ما يدلّ على نصرانيته»!

ثالثاً: «وليس في نسبته إلى طيّ ما ينفي نصرانيته، فقد أثبتنا في كتابنا: «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» شيوع النَّصرانية في قبيلة طيّ وثبات قِسمٍ كبير من بطونها على نصرانيتهم حتى بعد الإسلام بزمن طويل»!

رابعاً: «وفي مزاولته في حداثته الحياكة والسقاية مما يدلُّ على خموله بسبب دينه».

خامساً: «ثم ليس لنا كلام صريح لأحد رواة ترجمته ما يدلُّ على جحوده دينه النَّصراني».

ثم عقَّب قائلاً: «هذا ما يحملنا على القول بنصرانية أبي تمام»!!

وزاد موضِّحاً: «إنَّه لمَّا أصاب حظوة عند الخلفاء وعند وجود الأمراء وكبار الدولة عدلَ عن دينه إلى الإسلام مجاملةً أو طمعاً بِحُطام الدُّنيا».

وأضاف: «فترى أنَّ إسلام أبي تمام كان سطحياً ليس تماجُنَاً فقط كما قال المسعودي؛ بل اعتقاداً أيضاً، فذكرناه هنا بين شعراء النصرانية ليس افتخاراً بدينه؛ بل بياناً لحقيقة تاريخية. ثم إنَّ في شعره أبياتاً تنبىء بمعرفته لعادات النَّصارى كقوله في هرب توفيل زعيم الروم:

جفا الشرقَ حتى ظنَّ من كان جاهلاً ... بدين النَّصارى أنَّ قِبْلتهُ الغربُ»[1]

هذه أبرز الأدلة التي احتج بها «لويس» ليُدلِّل بها على نصرانيَّة أبي تمام. وهناك روايات وأقوال دسَّها بين ثنايا كلامه لتعضُد حُجّته، وتُقوّي فِريته المُتهالِكة، لكن آثرتُ هنا إثبات أبرز أدلته، وما تبقَّى من كلامه نستوفي الردَّ عليه ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الحديث عن مناقشة عقيدة أبي تمام عند الأدباء والمؤرخين. والله ولي التوفيق.

* * *

---

(١) شعراء النصرانية بعد الإسلام: (٢٥٨ـ٢٥٩).

الفصل الثالث

* تنبيهات مهمَّة قبل الشروع في نقد آراء لويس شيخو حول عقيدة أبي تمَّام:

لا يخفى على ذي لُب الشِّنْشِنة التي يهذي بها «لويس» في كلامه لإثبات نصرانيَّة أبي تمَّام، وإن هُجنة ألفاظه التي يظهر منها زهوه وتيهه أمارة على مبلغ علمه وقِلَّة بضاعته فيما صدَّر نفسه له. ورحم اللهُ الحافظُ «ابن حجر العسقلاني» (٨٥٢هـ) القائل: «إذا تكلّم المرءُ في غير فنِّه أتى بهذه العجائب»![1]

فذلك السَّحق والمحق لعقيدة أبي تمام دفعة واحدة من ذاك النَّصراني أمر عجيب وغريب وفي خباياه نَزَق شديد يعكس هويّة الرُّهبان، وشُخوص الأساقفة، وطيْش البابوات! ولن أخفي كمد قلب كُلِّ غيور يفخر بإسلامه وإيمانه، إذْ تُهان عقيدة مُسلمٍ طمساً على توحيدها، ونقضاً لأركانها، ونسفاً لإيمانها، لأنَّ الله تعالى يقول:

---

(١) «فتح الباري»: (٦/ ١٢٠). و«كلمة حق» لـ «الشيخ أحمد شاكر»: (ص/ ١١٤)، وفيه: «وقد قال هذه الحكمة الصَّادقة في شأن رجلٍ عالمٍ كبير من طبقة شيوخه وهو: «محمد بن يوسف الكرماني»، شارح البخاري، إذ تعرَّض في شرحه لمسألة من دقائق فنّ الحديث لم يكن من أهلها على علمه وفضله، فتعرَّض لِما لم يتيقن معرفته..».

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الجن: ١٤] وهو القائل سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]. وطلب الحق والتفتيش عنه هو هدفٌ سامٍ ومرمى نبيل لاسيَّما إذا رافقته نيَّةٌ صادقة، وعِلم صحيح أصيل.

و«لابن الهيثم محمد بن الحسن» (٤٣٢هـ) في هذا المعنى كلام يحسُن إيراده، إذ يقول: «فطالب الحق ليس هو النَّاظر في كتب المتقدِّمين، المُسْترسِل مع طبعه في حُسْن الظَّن بهم؛ بل طالب الحق هو المتّهم لظنّه فيهم، المتوقِّف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجَّة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان.

والواجب على الناظر في كتب العلوم إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه، ويجيل فكره في متنه وجميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه، فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه.

فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدَّمه من التقصير والشبه»[١].

وقبل الشروع في نقد كلام «لويس شيخو» وتفنيد آرائه، أرى

---

(١) «منهج البحث في الدراسات الإسلامية»: (ص/ ٧١).
قلت: وهذا كلام متين، ما أجدرنا بحفظه والعمل بمقتضاه!

لزاماً عليَّ لزوم الاسم لصاحبه أن أُنبِّه على مسألتين هامتين، لا غنى لنا عنهما في هذا المقام، وهما:

أولاً: **المنهج الصحيح في الحكم على الرجال.**

ثانياً: **المنهج الصحيح في تفسير الحوادث التاريخية.**

لأنَّ «شيخو» خبط وخلط في كلامه على أبي تمام من جرَّاء التفريط في إدراك هاتين المسألتين، وفهمهما وإيضاحهما مما يُيسِّر لنا فهم جزئيَّات البحث القادمة، وتذليل صعابه، والله المستعان.

أولاً: المنهج الصحيح في الحكم على الرجال:

الحكم على الرجال والأعلام والأشخاص جرحاً أو تعديلاً، تقوية أو تضعيفاً مهمَّة صعبة وشاقَّة ولا تتسنَّى لأيِّ إنسان يتصدَّى لها ويُعالج مراميها. إذ إنَّه مضبوط بقواعد متينة يجب الأخذ بها والاعتناء بتطبيقها وتنزيلها على الأفراد. والجرح والتعديل ليس خاصاً بعلم لحديث الشريف فحسب، كما يتوهَّمه كثير من الفِئام، بل يُمكن تطبيقه على الرواة والمحدِّثين والروايات، والأدباء والتواريخ والمؤرخين، والقرَّاء والقراءات. وهاكَ مثالاً على حديث صحيح يُعدّ من أقدم ما وصلنا في التثبُّت في الأخبار والنَّقل والتعديل والتجريح في نقل القرآن الكريم:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكِدتُ أُساوره في

الصلاة فتصبَّرت حتَّى سلَّم فلبَّبته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: كذبت؛ فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله، اقرأ يا هشام**» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أنزلت**»، ثم قال: «**اقرأ يا عمر**» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أنزلت، إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**»[1].

وفي اللُّغة والأدب ظهرت قواعد وضوابط كانت ضرورية لحفظ لغة القرآن الكريم وصيانة ألفاظه من العبث والتحريف، ونشأ عند علماء الإسلام جرح وتعديل في تحديد مصادر مادتهم وفي نقلتها من مصادرها، فكانوا لا يأخذون عن العربيّ الذي يلحن، أو من خالط الأعاجم، بل إن كثيراً منهم يتحاشى الأخذ عمن تشوب لغته أيَّة شائبة. وقد رحل بعضهم إلى البادية وسمعوا من أهلها، فقد أقام «النَّضر بن شميل المازني» (٢٠٣هـ) في البادية أربعين سنة. وممن رحل إلى البادية «يونس بن حبيب» (١٨٢هـ) و«الخليل بن أحمد» (١٧٠هـ)، وغيرهم. وبناءً على ذلك فضلوا بعضاً من القبائل واستبعدوا بعضاً منها، ويُبيِّن ذلك «أبو نصر الفارابي» (٣٣٩هـ) قائلاً:

---

(١) «صحيح البخاري»: (كتاب فضائل القرآن ـ باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف ـ حديث ٤٩٩٢).

«الذين عنهم نُقلت اللغة وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهمُ اتُّكل في الغريب والإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد قيس ـ وأزد عمان لأنهم ـ كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند، ولا من ناحية حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم»[١].

وما اتخذوه من وسائل الحيطة حيال الأمكنة اتخذوه كذلك حيال الأزمنة والعصور، فلم يأخذوا إلا عن العصور التي كان فيها اللسان

---

[١] «المزهر للسيوطي» (١/ ٢١٢) نقلاً عن الفارابي.

العربي سليماً، وسمّوا العصور التي يعتمد عليها عصور الاحتجاج، وهي حتَّى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة لفصحاء الحضر وأواسط القرن الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية، وزيادة في الحيطة ومبالغة في التحري. وكانوا يفضلون أعراب البصرة على أعراب الكوفة ـ مثلاً ـ لأن أعراب باديتها كانوا أعرق بداوة، والذين يردونها كانوا أكثر، والآخرون أفسدتهم الحضارة[١].

وبناءً على ما تقدَّم يحق لنا أن نتساءل: مَن يُقبل قوله في الجرح والتعديل؟ أو ما هو المنهج الصحيح في الحكم على الرجال؟

يقول إبراهيم النخعي (٩٦هـ): «كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سنته». وكان الأوزاعي يقول: «خذ دينك عمن تثق به وترضى عنه». هاتان الكلمتان أُقدمهُما توطئة أمام شروط من تصدّى لنقد الرجال ومعرفة حال الرواة والأعلام.

يشترط فيمن تصدى للجرح والتعديل: العلم والتقوى والورع والصدق والأمانة والابتعاد عن التعصب ومعرفة أسباب الجرح والتزكية لأنه بعد مضي القرن الأول وطلوع القرن الثاني، وهو عصر أوساط التابعين، ظهر الضعف في رواة الحديث فتصدَّى لبيان أسباب الضعف رجال كانوا موثوقين في دينهم وأمانتهم كالشعبي وابن سيرين، ثم تتابع الناس في النقد والجرح على الرواة، وقد انتشرت المذاهب الفقهية

---

(١) «المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل»: (ص/ ١٥٠).

وظهرت البدع المتنوعة من التشيُّع وغيره، فانتفت الأمانة والديانة، فبدأ الكلام يصدر من أفواه بعض الناس في الرجال دون معرفة هذا الفن الدقيق فاشترط العلماء فيمن تصدى لهذا العلم الشريف الشروط المذكورة أعلاه، انقسم النقاد على أقسام، منهم متشدد، ومنهم متساهل، ومنهم معتدل.

يقول الذهبي في مقدمة (ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل): «اعلم هداك الله أن الذين قَبِلَ الناس قولهم في الجرح والتعديل على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم تكلموا في أكثر الرواة كابن معين وأبي حاتم والرازي.

٢ ـ وقسم تكلموا في كثير من الرواة كمالك وشعبة.

٣ ـ وقسم تكلَّموا في الرجل بعد الرجل كابن عيينة والشافعي، والكل أيضاً على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم منهم مُتعنِّت في التوثيق، مُتثبِّت في التعديل يغمز الراوي بالغلطتين وبالثلاث ويلين بذلك حديثه، فهذا إذا عدل شخصاً فعضّ على قوله بالنواجذ وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه، فإن وافقه ولم يوثق ذلك أحد من الحذاق فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا هو الذي قالوا فيه لا يقبل تجريحه إلا مفسراً، أي: لا يكفي أن يقول فيه ابن معين مثلاً: هو ضعيف، ولم يوضح سبب ضعفه وغيره قد وثقه. فمثل هذا يتوقف في تصحيح حديثه، وهو إلى الحسن أقرب كابن معين

وأبي حاتم والجوزجاني.

٢ ـ وقسم في مقابلة هؤلاء كأبي عيسى الترمذي وأبي عبدالله الحاكم وأبي بكر والبيهقي متساهلون.

٣ ـ وقسم كالبخاري وأحمد بن حنبل وأبي زرعة وابن عديّ معتدلون ومنصفون.

وبعد الاستقراء لكلام العلماء تبيَّن أنه لابد من توفر الشروط التالية لمن يتصدى للجرح والتعديل.

١ ـ أن يكون الجارح مستيقظاً ومستحضراً.

٢ ـ أن يكون متحرياً لكلام العلماء.

٣ ـ أن يضبط ما يصدر عنه لئلا يقع في التناقض.

٤ ـ أن يكون عالماً بأسباب الجرح والتعديل.

٥ ـ أن يكون عالماً بتعاريف كلام العرب فلا يغير كلام الناس حتى لا يكون عكس ما يريده المتكلم.

٦ ـ أن يكون بعيداً عن التعصب المذهبي كرمي الجوزجاني سعيد بن عمرو الكوفي بالتشيع وقوله فيه: كان زائغاً غالياً في التشيع، وقد وثقه ابن معين والنسائي والعجلي وإسحاق بن راهويه، وكان من فقهاء الكوفة، أخرج له الشيخان والترمذي، لذا قال الحافظ: الجوزجاني غالٍ في النَّصب فتعارضا.

٧ ـ أن لا تحمله العداوة الشخصية في جرح رجل.

٨ ـ أن يكون حليماً وصبوراً حتى لا يغضب في كلام الناس فيه فيرميهم

بما لا يستحقون به .

٩ ـ أن لا تحمله القرابة عن العدول بقول الحق في الراوي .

قال محمد بن أبي السري عن أخيه الحسين بن أبي السري : لا تكتبوا عنه فإنه كذاب ، وقال عنه أبو عروبة الحراني : هو خال أمي وهو كذّاب .

وقال علي بن المديني عن أبيه : أبي ضعيف .

هذه هي بعض الشروط التي لابد من توفرها لمن يتصدَّى للجرح والتعديل ، وقد أشار إلى بعضها الحافظ في النخبة[١] .

ويُضاف إلى ما تقدَّم أن يكون النَّاقد عالِماً بالسُّنن عارفاً للبدع ، يُميِّز بين المشروع والممنوع ، واشترط الخطيب البغداديُّ في النَّاقد أن يكون عدلاً مرضياً في اعتقاده وأعماله ، عارفاً بصفة العدالة والجرح وأَسبابها ، عالماً باختلاف الفقهاء وأقوال الأئمة[٢] . وليحذر النَّاقد من إطلاق لسانه في الأعلام والرواة قدحاً وذمّاً بلا علم . ورحم الله ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) القائل : «ومن العجب أن الإِنسان يهون عليه التحفُّظ والاحتراز من أكل الحرام ، والظلم ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، ومن النظر المحرَّم ، وغير ذلك . ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه . . . »[٣] .

---

(١) «دراسات في الجرح والتعديل» : (٤٦ ـ ٤٧) .

(٢) «الكفاية» : (ص١٢٥) .

(٣) «الجواب الكافي» : (ص٥٤) .

ومن أهم الصفات التي يجب تحققها في الناقد: (العدالة): وهي سُلوكُ حياتي ينبثق عن قناعة مُعيّنة يُلازمها الإنسان ويتصف بها فيُسمَّى عدلاً. والأُمور التي تتحقَّق بها العدالة أربعة أوصاف:

١ ـ **الإسلام**: فلا يُقبل كافر بالإجماع في الرواية والنَّقد، لأنَّ الكافر يهودياً كان أو نصرانيًّا أو غير ذلك يدعوه اعتقاده إلى التحريف فيه، ولا يقوى الظن لصدقه، ولهذا قال الإمام الرازي (٦٠٦هـ) ـ عفا الله عنه ـ: «الكافر الذي لا يكون من أهل القبلة أجمعتْ الأمةُ على أنَّه لا تُقبل روايتُه، سواء عُلم من دينه المبالغة في الاحتراز عن الكذب أو لم يُعلم»[١].

٢ ـ **البلوغ**: وهذا لا يخفى على كُلّ لبيب.

٣ ـ **العقل**: وهو أمر لا يجهله أحد من الناس.

٤ ـ **السلامة من أسباب الفسق**: وهو ارتكاب الكبائر، أو الإصرار على الصغائر، والسلامة من خوارم المروءة.

ويكون النَّاقد أو الراوي مجروحاً متروكاً إذا اتصف بصفة جرحٍ كالكذب، وأعظمه الكذبُ على الله تعالى والكذب على رسله عليهم الصلاة والسلام، والكذب في شريعة الله ودينه وكتبه. ومن ذلك أيضاً: الفسق وكذلك البدعةُ، والاشتغال بالفلسفة التي قال عنها «أبو عمرو بن الصلاح» (٦٤٣هـ): «الفلسفة أُسُّ السَّفه والانحلال، ومادةُ الحيْرة

---

(١) «المحصول»: (٢/ ٥٦٧).

والضلال، ومثار الزيغ والزندقة...»[1].

* * *

هذه إضمامة مُختصرة كان الهدف من إيرادها: معرفة المنهج الصحيح للحكم على الرجال والأعلام والرواة، ومعرفة من يستحق أن يُسمَّى ناقداً أو مجرِّحاً ومُعدِّلاً! وبتلك الإضمامة نستطيع الإجابة على سؤال مُهمّ سيرد في الصفحات المقبلة، وهو متعلّق بنقد «لويس شيخو» النَّصراني، لعقيدة أبي تمام ـ رحمه الله ـ.

ثانياً: المنهج الصحيح في تفسير الحوادث التاريخية:

يظن فِئام من النَّاس أنَّ كتابة التاريخ هي مُجرَّد سردٍ للأحداث والوقائع والأخبار، وهذا بلا شك فهمٌ مغلوط، وإدراك قاصر. إذ لابُدّ في كتابة التاريخ من تصحيح المفاهيم والعودة إلى المنابع الصافية لهذا الدِّين الإسلامي الحنيف، مع إظهار المحاسن وتحقيق المساوئ ونبذ المذاهب الفكريَّة الفاسدة، والآراء العقديَّة الرديئة.

ولا تظهر ثمرة التاريخ المرقومة إلاّ بتأسِّيسه على الوحْيين: الكتاب السنة، وأقوال سلف الأمة. يقول ابن خلدون في مقدمته:

«اعلم أنَّ فنّ التاريخ فنٌّ عزيز المذهب، جمُّ الفوائد، شريفُ الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتم فائدة

---

[1] «فتاوى ابن الصلاح»: (ص٣٥).

الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا»[1].

وقيل أن نَعرِض المنهج الإسلامي الصحيح في تفسير الحوادث التاريخية: أودُّ أن أُقدِّم إضمامة يسيرة عن بعض الحقائق التي لابُدَّ من ذكرها لتكون تمهيداً لما سيأتي في هذا الكتاب من تقريرات وتعليلات:

إننا نريد تاريخنا على حقيقته بما فيه من صفحات ناصعة مشرقة وما فيه من صفحات قاتمة، ونحن نستفيد من هذا وذاك، ولا نحاول أن نزيف شيئاً منه، والذين يزورون بالحقائق التاريخية هم أصحاب المبادئ الضالة، ذلك أن حقائق التاريخ تكشف الباطل الذي أقاموا عليه مبدأهم.

فالنصارى الذين أقاموا دينهم على مبادئ فاسدة تؤلمهم الحقائق عندما تتبدَّى وتظهر، لقد شرق علماء النصارى بالإسلام عندما بيَّن القرآن حقيقة عيسى، فالحق أن عيسى عبد رسول، وليس هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة كما يزعمون، وقد كان اطلاع الشباب النصراني على الكتب الإسلامية يعتبر جريمة ما بعدها جريمة، ومن الكتب التي كانت تمنع من التداول في القرون الوسطى كتب العلامة ابن حزم الأندلسي لأنه عرض عقيدة النصارى وبيَّن باطلهم.

وشرق اليهود بالإسلام الذي بيَّن لهم كثيراً مما كانوا يُخفونه من حقائق، وبيَّن كذبهم في دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنَّهم أهل

---

(١) «مقدمة ابن خلدون»: (ص/ ١٢).

الحق .

والشيوعيون اليوم يشرقون بالحقائق التاريخية عندما تظهر للعيان لأنَّها تكذِّب مذهبهم المادي ، وتناقض الأوهام التي أقاموا عليها منهجهم ، وعندما فتح الغرب عينيه على الحقائق العلمية التي تخالف ما تبنته الكنيسة وجعلته ديناً قامت حرب بين الكنيسة والعلماء ، وذلك أن الحقائق تصادم دين الكنيسة .

ولذلك فإنَّ أصحاب المذاهب الضالة يُزيِّفون الحقائق ويُزوِّرونها ، وقد تعرَّض تاريخنا الإسلامي لهذا التزوير ، وقد جاء ذلك من تقادم الزمان وطول العهد ووقوع الناس في الخطأ ، فإن الإنسان قد ينسى ، والعقل قد يحار ، وقد تنبَّه علماؤنا إلى هذا ، فاشترطوا فيمن يأخذون عنه الدِّين أن يكون معروفاً بالحفظ ، فإذا كان سيء الحفظ لم يأخذوا منه ، ولم يرووا عنه .

وبعض هذا التزوير جاء على يد أعداء الإسلام الذين شوَّهوا تعاليمه وتاريخه ، فقد دفع أعداء الإسلام بعض شياطينهم لغرس الفرقة في صفوف المسلمين ، وقد نجح المجوس في إغماد خنجرهم في صدر الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونجح اليهود في إثارة الأمة الإسلامية وتمزيقها على يد عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أثار فتنة كبرى أودت بحياة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم نجح تلامذة ابن سبأ في استثمار مخططهم ، وذلك بإثارة الفرقة التي

أدت إلى الحرب والانقسام[1].

وما زالت الجمعيات السرية التي تدخل في الإسلام وتلبس لباسه تعمل لهدمه من داخله إلى اليوم.

ولم يكتفوا بإثارة الفتنة في صفوف المسلمين وتحريض بعضهم على بعض، بل دفعوا ببعض الذين درسوا الإسلام كي ينصبوا أنفسهم علماء، ثم يعملوا على طمس تعاليم الإسلام وتحريف نصوصه، وتصوير الفتن التي أقامها شياطين الكفر في الخفاء تصويراً يخالف حقيقتها.

وحاول أعداء الإسلام تشويه تاريخ الإسلام، وحمَّلوا تاريخنا مفتريات كثيرة دسَّها متطفلون ومفترون، وتناقلها من بعضهم رجال لم ينتبهوا إلى جريمة هؤلاء. يقول ابن خلدون في مقدمته: «إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها»، ثم يستطرد ابن خلدون قائلاً: «وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها»[2]، ولقد وصلت إلينا تلك الأخبار بغثها وسمينها.

---

(١) «التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف»: (١٧ ـ ١٨).

(٢) «مقدمة ابن خلدون»، (ص/ ٣).

لقد استثمر المؤرخون المندسون في صفوفنا الفتن التي بثَّها إخوانهم، ففَرَّقوا بها الأمة الإسلامية، وجعلوها هي الحقيقة التي تدرس وتُعلَّم، وشوّهوا وجه الإسلام الجميل بمفترياتهم وأكاذيبهم، وعظَّموا الأخطاء، وهوّنوا من محاسن الإسلام، وقد وقف بعض المؤرخين وقفات رائعة يظهرون الزيف، ويكشفون الباطل، ويبينون الحق، ومن أروع ما خطته أيدي المؤرخين كتاب «العواصم من القواصم»، لابن العربي الأندلسي المالكي، وكتاب «الفتنة ووقعة الجمل»، لسيف بن عمر الضبي، فقد كان هذا المؤلفان ثاقبي النظر عميقي الفهم، واستطاعا أن يكشفا شيئاً من المؤامرة التي حيكت في الظلام وأن يُظْهرا الحقيقة.

ولا يزال التاريخ الإسلامي بحاجة إلى تصفية، والأمر يحتاج إلى جهد طويل، وهمم عالية، ولكنه ليس مستحيلاً، فدواوين الإسلام التي عنيت بالإسلام وتاريخه محفوظة مدونة، وإظهار الزيف والباطل المدسوس ممكن بالطرق التي اتبعها علماء الإسلام.

الذراع الثالث الذي أقامه مخطط الأمة الصليبية لتطويق المسلمين يتمثل في جناح المستشرقين، وقد تخصصت طائفة من علمائهم لدراسة لغتنا وأدبنا وديننا في عقائده وشريعته، واهتموا بدراسة تاريخنا وتراثنا، وعنوا بالتراث القديم والحديث، وأصبحوا أساتذة في ذلك في جامعاتهم وجامعاتنا: أساتذة في التاريخ الإسلامي، وفي الشريعة الإسلامية، وفي الفقه الإسلامي، وفي اللغة

العربية، وفي الأدب العربي، وفي التاريخ الجاهلي القديم، وفي التاريخ العباسي...، وكل هذه المناصب الآن تملأ الجامعات الأوربية، ولما أصبحوا أساتذة، وألَّفوا، ودرسوا أخذوا يصوغون فكرنا وتراثنا صياغة جديدة، ويصغونها في قوالب مُعيَّنة ملؤوها بالأكاذيب والمفتريات والتحريف والتشويه بحيث أصبح شباب الإسلام يخجلون من دينهم وتراثهم عندما يطالعون الكتب الإسلامية التي سطَّرها هؤلاء المستشرقون، ومن طالع الجهود الاستشراقية يعجب من هذا السيل الذي كوَّنوه في ثقافتنا وعلمنا، وقد تتبع الأستاذ نجيب العقيقي جهود المستشرقين وإنتاجهم خلال ألف عام فبلغ ما كتبه في هذا المجال مجلدين كبيرين ومع الأسف فإن الكاتب مخدوع بالمستشرقين وتراثهم، ولذلك فإنّه يعرض نتاجهم عرض الفرح الفخور جاهلاً أو متجاهلاً ما سبَّبه هذا التراث من دمار[١].

وقد وصل تأثير هؤلاء المبشرين إلى طلاب العلم المسلمين وإلى مناهج التعليم وإلى المجامع العلمية واللغوية، حيث يوجد بعض الأساتذة المستشرقين، فبعضهم أساتذة في جامعاتنا، وأعضاء في مجامعنا العلمية، ومخططون لمناهجنا التربوية، وهناك معاهد للاستشراق في لندن وباريس وواشنطن وموسكو وبرلين وغيرها.

وقد زار مدير معهد الاستشراق السوفيتي في موسكو الكويت

(١) «التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف»: (٢٨ـ٢٩).

منذ فترة بدعوة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقال في مؤتمره الصحفي الذي نشرته صحيفة «صوت الخليج» الكويتية بتاريخ ٢/ ٤/ ١٩٨١ : «إنَّ معهد الاستشراق السوفيتي أكبر معهد للدراسات الإنسانية في موسكو يعمل فيه ٨٥٠ باحثاً، وهناك ٢٠٠ باحث يعملون في مدينة لينينغراد ويتبعون المعهد»، واستطرد مدير المعهد يبين أن المعهد يقوم بالأبحاث والدراسات المتكاملة في الاجتماع والتاريخ والسياسة، وفي المعهد قسم خاص بالبلدان العربية، ولديهم مُتخصِّصون بالشؤون الإسلامية، هذا في البلدان الشيوعية، أما في البلدان الصليبية فجهودهم أكبر وأعظم.

لقد كتب تراثنا وتاريخنا هؤلاء المستشرقون أمثال «الفردجيوم» الإنجليزي «وبارون كراديفو» الفرنسي، و«جولدسيهر» المجري، والقس «زويمر» الأمريكي، و«عزيز عطية سوريال» المصري، و«فيليب حتى» اللبناني الأصل الأمريكي الجنسيّة، و«مجيد قدوري» النصراني العراقي، ومن مشاهيرهم «مرجليوث» الإنجليزي، و«لوى ماسينيون» الفرنسي ومئات غيرهم، وقد شوَّهوا تاريخنا وتراثنا، بعضهم حاقد صريح في عدائه وحقده أمثال المستشرق الفرنسي «ديربيلو» الذي وصف الرسول ﷺ بأنه «دجَّال»، و«لامانس» الذي وصفه بأنه «لص نياق»[1]، وبعضهم ظهر بالمظهر العلميّ، واتسم بسمات التحقيق ليدسّ للإسلام كما يدس السُّم الزعاف في العسل،

---

[1] «الاستشراق والمستشرقون للسباعي»: (ص/ ٣١).

أمثال «جولد سيهر» الذي ادعى أن الأحكام الشرعية الإسلامية لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأَول من الإسلام!! وأن كبار الأئمة كانوا جهلاء بالإسلام! وأن الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ لم يكن يعلم هل كانت معركة بدر قبل أحد أم بعدها!! واتَّهم هذا المستشرق الإمام الزُّهري الذي أجمع علماء الجرح والتعديل على أمانته، بأنه كان يضع الحديث على الرسول ﷺ!![1]

لا ننكر أن في بعض هؤلاء المستشرقين رجالاً مُنصفين ولكنهم قليل، وإنصاف هؤلاء يدفعهم إلى مواقف رائعة فلا يتمالكون إلا أن يُعلِنوا إسلامهم أمثال المستشرق «رينيه جون» الذي أسلم، وتسمَّى باسم «ناصر الدين رينيه»، وفضح كثيراً من خُطط المستشرقين وردَّ عليهم، وإبراهيم خليل أحمد المصري الذي أراد أن يُقدِّم رسالة دكتوراه في بيان تناقضات الإسلام فغلبه القرآن، وأعلن إسلامه، وكتب كتاباً بيَّن فيه الطريقة التي يعمل بها المبشرون والمستشرقون والجهد الذي تقوم به الكنائس في مصر، أما الذين يدرسون تاريخنا ويبقون على عقيدتهم فلن يتخلَّصوا من حِقدهم على الإسلام إلا ما شاء الله، وانظروا إلى الأكاذيب التي طفحت بها دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون أمثال أربيري وجب وجولد سيهر وغيرهم، أما الأعمال العلمية التي قام بها أمثال «ونسنك» الألماني مثل «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»، فقد كان المراد بها خدمة المستشرقين كي

---

(١) الاستشراق والمستشرقون للسباعي (ص/ ٣١).

يسهل عليهم الوصول إلى أحاديث الرسول ﷺ

إن المستشرقين أكثرهم من رجال الدِّين النصارى، فمثلاً «أندرسون» الإنجليزي تخرَّج في كلية اللاهوت في جامعة كمبردج، وقد كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية، ثم عمل رئيساً لقسم قوانين الأحوال الشخصية في معهد الدراسات الشرقية في لندن.

إنَّ وقائع الحروب الصليبية وآلامها لا تزال تُوجِّه النَّصارى وتملك عليهم فِكْرهم، إنَّ الأمهات يُرضعن أبناءهم كراهية الإسلام مع الحليب، والقصص الشعبي لا يزال يتغنّى ببطولات النصارى في تلك الحروب في الوقت الذي تشوه فيه صورة الإسلام ورجاله.

وقد كنت[٢] أطالع كتاباً مترجماً عنوانه: «صلاح الدين وريكاردوس قلب الأسد»، وهو رواية غرامية اقتبس حوادثها «جورج جرداق» عن الملحمة الصليبية للسير ولترسكوت ونشرتها دار الروائع في بيروت، وقد ملئت بالأكاذيب من أولها إلى آخرها، وسنكتفي بذكر مثال واحد منها: يبدأ المؤلف الكتاب بوصف فارس صليبي يسير

---

(١) عن أخطاء المستشرقين ودسائسهم في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» انظر الكتاب القيِّم الذي دبَّجته يراعةُ الأُستاذ «سعد المرصفي» وهو بعنوان: «أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» فقد أجاد فيه وأفاد، جزاه الله خيراً ونفع بعلومه.

(٢) القائل هنا الأستاذ «عمر الأشقر» وفقه الله.

وحيداً في الصحراء . . . يقابله فارس عربي . . . يقتتلان ثم يتصالحان ويتعاهدان على الوفاء، ويسيران سوياً، ويدور بينهما حديث طويل، ومن جملة ذلك أنَّ العربي في مسيرته يأخذ بالإنشاد والتغني بالخمر والنساء فيناقشه الفارس الصليبي وينهاه طالباً منه أن يحترم المكان الذي يسيران فيه، ويقول له: ما شأن الحب والخمر في وادي ظل الموت هذا، وفيه يطوف الأعداء والشياطين الذين طردتهم صلوات المؤمنين والصالحين من كافة أنحاء الأرض، وحملتهم قسراً على أن يسكنوا هذه الأماكن الملعونة كسكانها؟؟؟ فماذا يجيبه الفارس العربي؟! استمع إلى إجابته حيث يقول: «لا تتكلم بهذه اللهجة عن الشياطين أيها الأجنبي، واعلم أن قومي ينتسبون في أصلهم إلى هذه الذرية الخالدة التي تخافها وتقذفها بالشتائم واللعنة!!! فيقول الصليبي : أتود أن أعتقد بأن قومك من ذرية الشيطان الذي لولا معونته لما استطعتم أبداً أن تمنعوا أرض فلسطين المقدسة عنا، وإني لا أعنيك بصورة خاصة وإنما أعني أهل المشرق عامة، وليست الغرابة أن تنحدر من ذرية الشيطان بل الغرابة أن تفخر بهذا الانتساب! ! فيقول له الفارس العربي مستنكراً: بالانتساب إلى من تريد أن يفخر الشجعان إن هم لم يفخروا بالانتساب إلى أشجع الكائنات؟ وبمن يعتزون إن هم لم يعتزوا بملك الظلمات الذي آثر أن يسقط ويرزح تحت الأعباء الثقال على أن يحني هامته ويطوي ركبته ويسجد لسواه؟! . . .

حوار طويل حول هذه القضية. . . ، ثم يبين الفارس العربي

المسلم للفارس الصليبي كيف أنه وقومه الأكراد من سلالة الشيطان، ويذكر له أسطورة غريبة كلها تخريف ودجل تُبيِّن أنه هو وقومه وأمته من ذرية الشيطان، ولا يكتفي المؤلف بذلك بل يجعل هذا العربي ينشد أكثر من مائة بيت كلها تسبيح وتمجيد للشيطان الذين يعبده والذي هو من سلالته!! يقول في بعض هذه الأبيات:

أُحيي فيك سلطان الجحيم	وأعبد حكمة الأزل القديم
لك النار التي كونت منها	لك الظلمات في الدهر البهيم
تسبح باسمك الأعلى جنود	بأنغام كدمدمة الهزيم
وحولك من سراة الجن حزب	وحولك ألف شيطان حكيم
وتنفخ في وجوه القوم غيظاً	بأفواه من اللهب العظيم

وهكذا... قصائد كثيرة صاغها المترجم صياغة أدبية محكمة يصور الكاتب فيها صلاح الدين الأيوبي وهو القائد الموحِّد الزاهد العابد التقي الورع الشجاع على أنه عابد شيطان كافر بالرحمن، والصليبي الكافر يصور مدافعاً عن تعاليم الأنبياء.

قد يُقال: إن هذا الذي بينته ليس إلا ملحمة شعبية أدبية، لا تعدو أن تكون تصورات أديب جمح به الخيال، فحلق هنا وهناك...، والرد على هذا القول أن مثل هذه الأعمال إنما تُجسِّد تراث النصرانية التي توارثته الأجيال. وأنا أجزم بأن أكثر الكتب التاريخية التي خطتها أيدى المستشرقين لا تخالف ما سطره صاحب الأسطورة، ولا فرق بين كثير مما كتبه المستشرقون وبين هذه الرواية الخيالية التي تجسد أفكار

النصارى[1].

إذا عُرِف هذا حق المعرفة تبيَّن لنا ضرورة فهم المنهج الصحيح للإسلام في تفسير الحوادث التاريخية. **ويُقرِّر كثير من الباحثين أنَّ التاريخ الإسلامي تعرَّض لكثير من الانحرافات في كتابته، ومن أبرزها:**

١ ـ **الانحراف في التصور عند من تولَّوا كتابته ـ لاسِّيما المعاصرين منهم ـ مع الجهل بحقيقة الدِّين الإسلامي وشموليَّته.**

٢ ـ **القصور في فهم دلالة المصطلحات الإسلامية مثل الدين والعبادة والألوهية.**

٣ ـ **الفصل بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية في مناهج** التعليم مما أدَّى إلى أن تقوم الدراسات التاريخية المعاصرة ـ في البلاد الإسلامية ـ على هدي المدرسة الاستشراقية، إذ تلقَّفت مناهجها وأساليبها في عرض المادة التاريخية وتفسيرها؛ فنشأ عن ذلك جيل من خريجي الجامعات وأساتذة التاريخ لا يشعرون بأيَّة صلة تربط هذا التاريخ بدراسة الشريعة وأحكام الإسلام؛ بل ربما استنكر بعضُهم ذلك.

٤ ـ **أخذ بعضهم أحكام الإسلام على أنها أجزاء منفصلة لا رابط بينها** وأن في مقدور الإنسان أن يكون مسلماً في جانب الاعتقاد

---

(١) «التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف»: (٣٤ـ٣٦).

المستكنّ في القلب دون السلوك العملي، أو أن يقوم بالشعائر التعبدية دون الالتزام بالإسلام في منهج العلم والتلقّي، وهذا تطبيق للمبادئ العلمانية ـ وإن لم يشعروا ـ.

٥ ـ الشعور بالتبعية والروح الانهزامية أمام الحضارة الأوربية.

٦ ـ عدم الاعتزاز بالإسلام وتحقيق مفهوم الولاء والبراء.

٧ ـ الامتناع عن متابعة مناهج العلماء المسلمين في التوثيق العلمي[١].

* * *

ويمكن تلخيص المنهج الإسلامي في تفسير الحوادث التاريخية، في الفِقَر الآتية:

أولاً: العناية بالأسانيد والرواة.

ثانياً: معرفةُ مصادر الروايات ونقدها.

ثالثاً: إزالةُ الأوهام والشبه والدسائس عن الروايات.

رابعاً: عرضُ الرواياتِ على نصوص الوحْيين.

خامساً: تحقيق الألفاظ والمصطلحات.

وسوف نتحدَّث عن كل فقرة مِنها باقتضاب مع الاستشهاد بالأمثلة والنصوص ما أمكن ذلك، والله وليّ التوفيق.

* * *

---

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للسُّلمي»: (٨ ـ ٩).

أولاً: العناية بالأسانيد والرواة:

الإسناد: هو رفعُ الحديث إلى قائله، أي: بيان طريق المتن برواية الحديث مُسنداً. وقد يُطلق الإسنادُ على السند من باب إطلاق المصدر على المفعول، كما أُطلق الخلق على المخلوق. ولهذا نجد المحدِّثين يستعملون السَّند والإسناد بمعنى واحد. وقد خَصَّ اللهُ تعالى الأمة الإسلامية بالإسناد دون غيرها من الأمم، يقول «عبدُالله بن المبارك» (١٨١هـ): «الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[١]. وقال أيضاً: «مَثَلُ الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد، كمثل الذي يرتقي السطح بلا سُلَّم.

وقال سفيان الثوري (١٦١هـ): «الإسناد سلاحُ المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأيِّ شيء يُقاتل»! وقد أخرج الحاكم عن مطر الورّاق في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [سورة الأحقاف: ٤]، قال: «إسناد الحديث».

ويُروى أنَّ الإمام يحيى بن معين (٢٣٣هـ) قيل له في مرض موته: ماذا تشتهي؟ قال: بيتٌ خالٍ، وإسنادٌ عالٍ[٢]. وقال الإمام مالك ابن أنس (١٧٩هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ

---

(١) للشيخ «عبدالفتاح أبو غدة» ـ عفا الله عنه ـ كلام نفيس حول هذه العبارة، يُنْظَر في: «الإسناد من الدِّين»: (ص/ ١٧).

(٢) ولما مات ـ رحمه الله ـ نُودي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ.

﴿وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، هو قول الرجل: حدثني أبي عن جدّي.

والآثار في هذا المعنى كثيرة وعديدة، تحث القارئ والباحث على الاهتمام والعناية بإسناد الروايات والأخبار والتحقُّق من ذلك والتمعُّن فيها مع التحرِّي والتثبُّت والتدقيق في الأسانيد والرواة إن كان مُريدُها طالب حق وقاصد صدق. وما أعظم كلمة شيخ الإسلام ابن تيميَّة (٧٢٨هـ): «العِلمُ إمَّا نقل مُصدَّق، وإمَّا استدلال مُحقَّق»[١].

وليس عِلمُ الشريعة الإسلامية هو العِلمُ الوحيد الذي يُطبَّق فيه التحرِّي والتحقُّق من صحة الأسانيد، بل كُلّ العلوم المُعتَبرة تُشدِّد على العناية بالإسناد ورُواته، فهذا «الزَّبيدي» (١٢٠٥هـ) مُصنِّفُ «تاج العروس» يقول عند مادة (نوف): «قال الأزهريُّ: قرأتُ في كتاب نُسِبَ إلى (مُؤَرِّج السَّدوسي) ـ غير مسموعٍ: لا أدري ما صِحةُ النَّوْف؟» اهـ[٢].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى، في كتابه «الاعتصام»، في الفصل الأول من «الباب الرابع»: «جعلوا الإسنادَ من الدِّين، ولا يَعْنُون: (حَدَّثني فلان عن فلان) مُجرَّداً، بل يريدون ذلك لما تضمَّنَهُ من

---

(١) «مقدمة التفسير، لابن تيمية»: (ص/ ٤٥).

(٢) «الإسناد من الدِّين»: (٣٨ ـ ٣٩)، و«مؤرِّج بن عمرو السَّدوسي» (١٩٥هـ): من عُلماء الأنساب والعربيَّة، من أهل البصرة. وقد ذكر «الفيروز آبادي» (٨١٧هـ) في «القاموس»: (ص٨٥٨): ستةَ معاني للنَّوْف، فراجعها إنْ شئت.

معرفةِ الرجال الذين يُحدث عنهم، حتى لا يسند عن مجهول ولا مجروح ولا متهم، إلا عمن تحصل الثقة بروايته، لأن روح المسألة أن يغلب على الظن من غير ريبة ـ أي شك ـ أن ذلك الحديث قد قاله النبي ﷺ، لنعتمد عليه في الشريعة، ونسند إليه الأحكام»[1].

وقد عاب الإمامُ أبو منصور الأزهري الهَرَويُّ اللغوي، محمدُ بنُ أحمد (٤٨٨هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ، على من ألَّف الكتبَ في اللغة، وأسنَدَ فيها إلى العلماء من غير سماع منهم، وإنما أَخَذَ من كتبهم وصُحُفِهم، وردَّ عليه وحذَّرَ من الأخذِ عنه، ووَصَفَهُ بأنه صَحَفيٌّ، وقال: «من كان رأسُ مالِهِ صُحُفاً فإنّه يُصحِّفُ فيُكثِرُ! وذلك أنه يُخبرُ عن كتب لم يَسمعها، ودفاترَ لا يدري أصحيح ما كتب فيها أم لا؟!.. فقد أقر أنه صحفي لا رواية له ولا مشاهدة، ودل تصحيفه وخطؤه على أنه لا معرفة له ولا حفظ»[2].

ويعني أنَّ هذا كافٍ لإهمالِ كتابِهِ، لفقدِ السماعِ والمشافهةِ للشيوخ المعتمدين.

قال رحمه الله تعالى، في مقدمة كتابه «تهذيب اللغة»، بعدَ أن ذكرَ (الأئمة الذين اعتمَد عليهم في جَمْع هذا الكتاب)، وترجمَ لهم، وساق أسانيدَهُ إليهم، قال ما يلي:

---

(١) «الاعتصام»: (١/ ٢٢٥).

(٢) «تهذيب اللغة»: (١/ ٣٢ـ٣٤).

«وإذْ فَرَغنا من ذكرِ الأثباتِ المتقِنين، والثقاتِ المبرِّزين من اللغويين، وتسميتهم طبقةً طبقة، إعلاماً لمن غَبِيَ عليه مكانهم من المعرفة، كي يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المروية عنهم، فلنذكر بعقب ذكرهم: أقواماً اتسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة، وألَّفوا كتباً أودعوها الصحيح والسقيم، وحشوها بالمُزالِ المُفْسَد، والمصحَّف المغيَّر، الذي لا يَتميَّزُ ما يصحُّ منه إلا عند النِّقَابِ ـ هو العلامةُ البحَّاثة الفَطِنُ ـ المبرِّزِ، والعالمِ الفطِن، لنُحذِّر الأغمارَ اعتماد ما دونوا، والاستنامة إلى ما ألَّفوا»[1].

من أجل هذا كُلِّه ظهرت المصنَّفات التي تعتني بالجرح والتعديل، وكذلك مُصنَّفاتُ عِلل الرواة، ومن أشهرها: «معرفةُ الرجال» ليحيى بن معين (٢٢٣هـ)، و«العِلل والرجال» للإمام أحمد بن حنبل، (٢٤١هـ)، و«الجرح والتعديل» لأحمد بن عبدالله العجلي (٢٦١هـ)، و«العِلل» لمحمد بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، و«العِلل» للإمام مسلم القشيري (٢٦١هـ)، و«العِلل في الحديث» لعليّ بن محمد المدائني (٢٢٥هـ)، وغيرها كثير من مُصنَّفات الأئمة الثِّقات الذين حرسوا الدِّين وذادوا عن العلوم ذود الأرواح والمهج!

وأسوق هنا مثالين رائعين في عناية الأئمة النُّقَّاد بالإسناد والرواية والتدقيق والتحقيق، الأوّل ما أسنده الحافظ الذهبيُّ إلى عطاء وعكرمة

---

(١) «تهذيب اللغة»: (١/ ٢٨).

رحمهما الله تعالى، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

«بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه علي، فقال: بأبي أنت وأُمِّي، تفلَّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال: «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ويثبت ما تعلمت في صدرك» قال: أجل يا رسول الله. قال: «إذا بِتَّ ليلة الجمعة، فإنْ استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع ففي أولها فصل أربع ركعاتٍ، تقرأ في الأول بالفاتحة، ويس، وفي الثانية بالفاتحة والدُّخان، وفي الثالثة بـ «آلم السَّجدة» وفي الرابعة تبارك، فإذا فَرَغْت، فاحْمدِ الله، وأحْسِن الثناء، وصلِّ عليَّ، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين، وقل: اللهم ارحمني بترك المعاصي، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك... في دعاء فيه طويلٍ إلى أن قال: «يا أبا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً، تجاب بإذن الله» قال: «فما لَبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاءَ في مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله! مالي كنتُ فيما خلا لا آخذُ إلا أربع آياتٍ ونحوهن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية، ولقد كنتُ أسمع الأحاديث، فإذا ردَّدْته،

تفلَّت، وأنا اليومَ أَسمعُ الأحاديثَ، فإذا حدثت لم أحرفْ منها حرفاً فقال له عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن».

قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلا من حديث الوليد.

قال الذهبي: «هذا عندي موضوعٌ، والسلام، ولعل الآفةَ دخلت على سُليمان بن بنت شُرحبيل فيه، فإنَّه منكر الحديث، وإن كان حافظاً، فلو كان قال فيه: عن ابن جُريج، لراجَ، ولكن صرَّح بالتحديث، فقويت الرِّيبة وإنَّما هذا الحديث يرويه: هشام بن عمَّار، عن محمد بن إبراهيم القُرشي، عن أبي صالح عن عكرمة، عن ابن عباس. ومحمد هذا ليس بثقة، وشيخه لا يُدري من هو»[1].

المثال الثاني: خُطبةٌ قيلت على لسان «أبي ذرٍّ الغفاريّ» (٣٢هـ) - رضي اللهُ عنه - في فضل عليّ - رضي الله عنه - وأنَّه وصيُّ «محمد ﷺ»، وهذا نصُّها:

«أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم، استحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، والكعبة المستورة، أو

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (٩/ ٢١٧ـ٢١٨).

كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية، أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم، وما فُضِّلَ به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه.

أيتها الأمة المُتحيِّرة بعد نبيها: أما لو قَدَّمْتُم مَنْ قدَّم الله، وأَخَّرتم من أخَّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولَمَا عال ولي الله، ولما طاش سهمٌ من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة نبيه، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[1].

فهذه الخطبة المنسوبة إلى أبي ذرّ - رضي الله عنه - مكذوبة وموضوعة، وضعتها الشيعة الفَجَرةُ، وفيها من عقائدهم ما لم يقل به أحدٌ من السَّلف ولا الخَلَف الصَّالح، فيالله العجب!

ويكفي أنَّ ناقلها وراويها مؤرِّخ شيعيّ جلد، سِّيماه في كتابه سِّيما أهل الرفض والفجور، وله طامّات وعجائب يطول ذكرها ويصعب هنا تعدادها[2].

---

(١) «تاريخ اليعقوبي»: (٢/ ١٧١).

(٢) اسمه الكامل: «أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي» بعد ٢٩٢هـ): مؤرِّخ شيعي إمامي، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية، حتى لُقِّب بالكاتب العباسي.

ثانياً: معرفةَ مصادر الروايات ونقدها:

يجب على الباحث في الروايات أن يُمْعِن النَّظر في مصادر نقلتها، وأن يتنبَّه إلى معرفة طُرْقِ عزوها، حتى يكون على بصيرةٍ مما بين يديه من عِلمٍ وتُراث. وقد حذَّر الخطيبُ البغداديُّ ـ رحمه الله تعالى ـ (٤٦٣هـ) من كُتُبِ الأخبار والأوائل، فقال: «ويُترك المُنتخِبُ أيضاً الاشتغال بأخبار الأوائل، مثل كتاب «المبتدأ»[1] ونحوه، فإن الشغل بذلك غيرُ نافع، وهو عن التوفُّر على ما هو أولى قاطع».

وقال أيضاً: «وإنَّما كره العلماءُ رواية أحاديث الأنبياء وأقاصيص بني إسرائيل المأخوذة عن الصُّحف مثل ما رواه وهب بن مُنبِّه، وكان يذكر أنَّه وجده في كُتُب المتقدِّمين، وتلك الصحف لا يُوثق بها ولا يُعْتمدُ عليها»[2].

وقال: «وكذلك ما نُقِلَ عن أهل الكتاب أنفسهم، دون أخذه من صُحُفِهم، فإن اطِّراحه واجب، والصدوق عنه لازم، وقد كان

انظر في معرفة أخباره: «معجم الأدباء» (٥/ ١٥٤). وللشيخ «محمد بن صامل السُّلمي» بحث مُخْتَصر في بيان مخالفاته وطامَّاته، في كتابه «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»: (٥٢١ـ٥٢٨) وأنصح بالوقوف عليه لفائدته.

(١) كتاب «المبتدأ» لإسحاق بن بشر البخاري (٢٠٦هـ)، فيه الموضوع والضعيف من أخبار التاريخ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٩/ ٤٧٧)، و«كتب حذَّر منها العلماء»: (٢/ ١٧).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: (٢/ ١٦٠).

محمد بن إسحاق - صاحب (السِّيرة) - ضمَّن كتبه من ذلك أشياء كثيرة»[1].

وحتى لا يقع القارئ أو الباحث في حبائل الروايات السَّقيمة عليه أن يعتني بالمصَّنفات التي تواترت ثِقتُها، واشتُهرت بِتَثبُّتها ودقتها، وكلَّما كانت عقيدة المصنِّف عقيدة سلفيةً نقيَّةَ، كان ذلك أدعى إلى قبول رواياته وأخبارِه ونقداته[2].

وقد تواضع العلماءُ قديماً على الاحتراز من أهل الجهالة والبدع، ونَقَلة الأخبار والآداب الذين جُلُّ هَمِّهم الطعنُ في الأئمة، والقدحُ في الأُمَّة بباطلٍ ظاهرهُ حق، وباطِنُه حِقدٌ وزيف وتدليس.

ورحم الله الإمام أبي بكرٍ بن العربيّ المالكيّ (٥٤٣هـ) حين أوصى بوصيّة فذَّة في هذا الباب ومما جاء فيها: «إنما ذكرتُ لكم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين المؤرخين، وأهل الآداب، فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو على بدعة مصرِّين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبريّ، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء

---

(١) «المصدر السابق»: (٢/ ١١٤).

(٢) ولمُقيِّد هذه السطور - عفا اللهُ عنه - مصنَّف بعنوان: «حقيقة معتقد ابن سِّينا»؛ كشف فيه زيغ هذا الرجل وباطله وإفكه، وهو أوَّلُ كتابٍ - في ظنّي - جرَّد ابن سينا ونقده نقداً عَقَديّاً في ضوء الكتاب والسنة، فلله الحمد والمِنَّة.

الأكبر، فإنّهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف، والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى. فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من هذه الحبائل، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل. ومن أشدِّ شيء على الناس جاهل عاقل، أو مبتدع مُحتال. فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتاب (الإمامة والسياسة)[1] إن صحّ عنه جميع ما فيه، وكالمبرِّد في كتابه الأدبي وابن عقلة من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه، فإنَّه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة، وأما المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنه بها يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه[2]، فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر (عنه) ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين، وعن سبيل الباطل ناكبين.

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبدالملك بن مروان في موطئه، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة.

---

(١) «الإمامة والسياسة» كتاب منحول على «ابن قتيبة» (٢٧٦هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ، فهو منسوب إليه زوراً وظلماً، انظر في ذلك: «كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلميّ».

(٢) «المسعودي»: شيعيٌّ معتزلي، انظر عن نقده ونقد كتابه: «نزعة التشيُّع وأثرها في الكتابة التاريخية»: (ص/ ٤٨ ـ ٥٩).

وقال في روايته: «عن زياد بن أبي سفيان»، فنسبه إليه وقد علم قصته، ولو كان عنده ما يقول العوام حقاً لما رضي أن ينسبه ولا ذكره في كتابه الذي أسَّسه للإسلام، وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها، فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل.

وكذلك أعجبهم ـ حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ ـ ذكر عبدالملك بن مروان فيه وإذكاره بقضائه، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضاً مثله، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله.

وأخرج البخاري: عن عبدالله بن دينار قال: شهدتُ ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبدالملك بن مروان كتب: إنِّي أقر بالسمع والطاعة لعبدالملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله، ما استطعت. وإن بنَيَّ قد أقروا بمثل ذلك.

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن، وكذلك الواثق، وأظهروا بدعتهم، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضي أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم هي مردودة؟ وهي مسألة معروفة. وهذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلاناً الخليفة شرب الخمر أو غنَّى أو فَسَقَ أو زنى، فإن هذا القول في القرآن بدعة أو كفر ـ على اختلاف العلماء فيه ـ قد اشتهروا به، وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من

المؤرخين (الذين) قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا. وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وحتى سمحوا للجاحظ[1] أن تُقرأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنَّهم ولدوا لغير رشدة كما قال في إسحاق ﷺ في كتاب الضلال والتضليل، وكما مكَّنوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة، فإن زلَّ فقيهٌ أو أساء العبارة عالم:

يكن ما أساء النَّار في رأس كوكبا[2]»أهـ.

ثالثاً: إزالة الأوهام والشُّبَه والدسائس عن الروايات:

لا يستقيم للباحث المسلم صراط لاحب ما لم يُزل الأوهام الخفيَّة، والشَّبَه القويَّة، والدسائس الماكرة ـ من أصل الرواية ومعدن الأخبار. وهذه لا تتأتَّى لأيِّ باحثٍ إلاَّ بالمطالعة الدؤوبة، والقراءة

---

(١) لراقم هذه السطور رسالة وجيزة بعنوان: «عثرات الجاحظ»!، تمَّ فيها بيانُ أخطائِه والتنبيه على ما ذهب إليه من مذاهب فاسدة وآراء زائفة.

(٢) «العواصم من القواصم»: (ص/ ٢٦٠ ـ ٢٦٦).
وما ذكره المؤلفُ عجزُ بيتٍ ضمن بيتين لـ «الأعشى» (٧هـ)، هما:
ومن يغترب عن قومه لا يزل يَرى ... مصارع مظلوم مُجرَّراً ومسحَّبا
وتُدْفَنُ مِنهُ الصالحاتُ، وإن يُسيء ... يكن ما أساء النَّار في رأس كوكبا
انظر: «ديوانه»: (ص/ ٤٦).

العميقة، وملكة راسخة في العلوم والمعارِف، خليطها فِطنةٌ وفِقهٌ وذكاء!

وكلما كانت الشُّبه والدسائس والأوهام قويَّةً مُحكَمة؛ ازداد واجب الباحث في التصدِّي لها وكشف زيفها والوقوف ضدها.

وسبب ذيوع الأوهام والشُّبه والدسائس في المصنَّفات المختلفة ما قرَّره ابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ (٨٠٨هـ) حين قال: «التحقيق قليل، وطَرفُ التنقيح في الغالب كليل، والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميِّين وسليل»[١].

ومن الأوهام التي تزخر بها المصنَّفات «قِصَّةُ الغرانيق» الشهيرة، والتي بيَّن كثيرٌ من الأئمة بطلانها وسقوطها[٢]. ووهم الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ (٨٥٢هـ) حيث قرَّر أنَّ لها أصلاً يُعتمد عليه! عندما قال عن أسانيد رواتها:

«وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف وإما منقطع، ولكن كثرة الطرق تدلُّ على أنَّ للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين

---

(١) «مقدمة ابن خلدون»: (ص/ ٤).

(٢) والعجيب من الشيخ «إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني» (١١٠١هـ) كيف جوَّز على النبي ﷺ: السجود لأصنام المشركين، دون تأويل سائغ!!، وزعم أن ذلك لا يتنافى مع عِصْمته.
انظر شبهته وهتكِها وتفنيدها في: «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني»: (١٢/ ٢٠١).

مُرْسَلين رجالهما على شرط الصحيحين» (ثم ذكر الرواية الثانية والثالثة ثم قال): وقد تجرَّأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال: ذكر الطبريُّ في ذلك رواياتٍ كثيرة باطلة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول عياض: هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين، لم يسندها أحد منهم، ثم ردّه من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك. انتهى. وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دلّ ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض»[1].

وهذا الوهم الذي وقع فيه ابن حجر - رحمه الله تعالى - لم يُسلَّم له من كثيرٍ من الأئمة، فلم يعذروه بل نقدوه[2] وعارضوه نصراً للسُّنة، ودرءاً للفتنة التي يُمكن أن تُزرع من قِبل المُغْرِضين! ومن أشهر الأئمة الذين نقدوا ابن حجر وطعنوا في أصل قصة الغرانيق: «أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي» (٥٤٢هـ)، و«القاضي عياض» (٥٤٤هـ)،

---

(١) «فتح الباري»: (٨/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٢) ابن حجر - عفا الله عنه - أثبت القِصة تبعاً للأسانيد والطرق التي صحَّت عنده، لا لهوىً في نفسه، هذا ظننا فيه، ولا نزكي على الله أحداً.

و«فخر الدين الرازي» (٦٠٦هـ)، و«محمد بن أحمد الانصاري» (٦٧١هـ)، و«محمد بن يوسف الكرماني» (٧٨٦هـ)، و«محمود بن أحمد العيني» (٨٥٥هـ)، و«محمد بن علي الشوكاني» (١٢٥٠هـ)، و«محمود الآلوسي» (١٢٧٠هـ)، و«صديق حسن خان» (١٣٠٧هـ) و«محمد عبده المصري» (١٣٢٣هـ)(١).

ومما لا شك فيه أنَّ معرفة الباحث بالنَّقد التاريخي، إضافة إلى سعة العلم والاطِّلاع، وتمييز الأسانيد والمتون وفق قواعد العلوم ـ مما يساعد على كشف الشبه والدسائس، وردع الخصوم المرتزقة الذين يسعون جاهدين إلى تشكيك الشباب المسلم في دينه وعلوم أُمته.

وأسوق هنا شاهداً يَعرِضُ سعة عِلم «الخطيب البغدادي» (٤٦٣هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ وتصدِّيه لدسائس وشبه الخصوم:

في سنة (٤٤٧هـ) أظهر بعض اليهود كتاباً ادَّعى فيه «أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وذكروا أن خطَّ عليٍّ فيه، وحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، فعرضه على الخطيب فتأمَّله، ثم قال: هذا مزوَّر. قيل له: من أين قلت ذلك؟ قال: من شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح (في شهر رمضان سنة ٨هـ)، وفُتِحَت خيبر سنة ٧هـ (في صفر) وفيه شهادة سعد بن معاذ،

---

(١) ولشيخنا «محمد بن ناصر الدين الألباني» ـ رحمه الله تعالى ـ رسالة ماتعة ومفيدة بعنوان: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» كتبها جواباً على سؤال ورده من (باكستان) حول هذه القصَّة، وذلك سنة (١٣٧١هـ).

ومات يوم بني قريظة؛ قبل خيبر بسنتين، فاستحسن ذلك منه ولم يجزهم على ما في الكتاب».

وكتب رئيسُ الرُّؤساء كتاباً عن الخليفة القائم بأمر أمير المؤمنين في أخذ الجزية من اليهود الخيابرة، وإبطال الكتاب الذي بأيديهم في ذلك، وكتب عليه الأئمة: أبو الطيب الطبري، وأبو نصر بن الصبَّاغ، ومحمد بن محمد البيضاوي، ومحمد بن ملي الدَّامغاني، وغيرهم[1].

ومن الأمثلة أيضاً في هذا الباب ما تناقله بعضُ المؤرِّخين، وهو أنَّه لما مات الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ وقع المأتم والنَّوح في أربعة أصناف: المسلمين، واليهود، والنَّصارى، والمجوس، وأسلم يوم مات عشرون ألفاً.

وفي رواية: عشرةُ آلافٍ من اليهود والنَّصارى والمجوس!!

جاء في «تاريخ الإسلام»: (١٨/ ١٤٣) ما نصُّه:

«وهي حكاية مُنكرة لا أعلم رواها أحد إلاّ هذا الوركاني[2]، ولا عنه إلاَّ محمد بن العباس، تفرَّد بها ابن أبي حاتم، والعقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد، ولا ينقله جماعة تنعقد هممهم ودواعيهم

---

(١) «البداية والنهاية»: (١٢/ ١٠١ـ١٠٢).

(٢) جاء في «لسان الميزان»: (٦/ ٢٦٥): «الوركاني: شيخ حُكي عنه أنَّه أسلم يوم مات أحمد؛ عشرون ألفاً: لا يُدرى من هو، ولا تابعه على هذا القول أحد...».

على نقل ما هو دون ذلك بكثير، وكيف يقع مثل هذا الأمر الكبير ولا يذكره المروذيُّ، ولا صالح بن أحمد، ولا عبدالله بن أحمد، ولا حنبل، الذين حكوا من أخبار أبي عبدالله جزئيات كثيرة لا حاجة إلى ذكرها، فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيماً، ولكان ينبغي أن يرويه نحو عشرة أنفس، ثمَّ انكشف لي كذب الحكاية، بأن أبا زُرعة قال: كان الوركاني يعني ـ محمد بن جعفر ـ جار أحمد بن حنبل وكان يرضاه، وقال ابن سعد وعبدالله بن أحمد وموسى بن هارون: مات الوركاني في رمضان سنة ثمان وعشرين ومئتين فظهر لك بهذا أنَّه مات قبل أحمد بدهر، فكيف يحكي يوم جنازة أحمد رحمه الله؟».

وقال الذهبي أيضاً في «السِّير»: «هذه حكاية منكرة، تفرَّد بنقلها هذا المكي عن هذا الوَركاني، ولا يُعرَف، وما ذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة، وهو الذي قال فيه أبو زرعة: كان جاراً لأحمد بن حنبل. ثم العادةُ والعقلُ تُحيل وقوعَ مثلَ هذا. وهو إسلامُ ألوفٍ من الناس لموتِ وليٍّ لله، ولا يَنْقلُ ذلك إلاَّ مجهولٌ لا يُعرف. فلو وقعَ ذلك، لاشتهر ولتواتر لتوفر الهِمم والدواعي على نقل مثله؛ بل لو أسلم لموته مئة نفس، لقُضِي من ذلك العجب. فما ظنك؟!»[1]

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٣٤٣).

رابعا: عرض الروايات على نصوص الوحيين:

اعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أن الواجب على كل أحدٍ عرف التميِّز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات النَّاقلين من المتَّهمين، ألاَّ يروي منها إلا ما عَرف صحَّة مخارجه، والستارة في ناقليه، وأن ينفي منها ما كان منها من أهل التُّهم، والمعاندين من أهل البدع[1].

وعليه أن يعرض ما اشتبهت وجوهه وتنازعت أُصوله على نصوص الوحيين ونور الأصلين: الكتاب والسنة، لقول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**ألا إنِّي أُوتيتُ الكتاب ومِثلَهُ مَعَهُ**»[2].

فحريٌّ بالباحثين والمفتِّشين في مُصنَّفات الأقدمين وسجلات الدواوين أن يلحظوا أمانة الكلمة فيما يقرؤونه من كِتابات المغرضين وتدوين المبتدعة الأفَّاكين الذين لاهمَّ لهم إلاّ التشكيك في تراث العلماء من سلف الأمة وخلفها. وكلما كانت الروايات الضعيفة والموضوعة لصيقةً بالإسلام وحدوده وسُننه؛ كلما زادت أمانة العِلم ووجوب حملها للذَّود عن حُرَم الإسلام وأركانه. وهذا باب واسع لا

---

(١) «مقدمة صحيح مسلم»: (١/٨).

(٢) «مسند أحمد»: (٤/ ١٣٠ ـ ١٣٣) وإسناده حسن.

يتسنّى لنا بيانُه بإيضاحٍ في هذا المقام، لكن أُوردُ على عجلٍ مثالاً يوضِّح ما رُمنا هُنَا بيَانَهُ والتنبيه عليه.

فقد أخرج سعيد بن منصور في سننه (١/٣/١٦٦)، عن الشعبي، قال: «خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحدٍ ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلتُ فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله عز وجل، فما ذلك؟ قالت: نهيت الناس آنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] - فقال عمر: «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثاً، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني نهيتكم أن تغلوا في صداق النساء، أفلا فليفعل رجل في ماله ما بدا له»[١].

وهذه الرواية على شهرتها لا تصح لثلاثة أوجه:

١ - مخالفتها لما صح عن عمر رضي الله عنه من نهيه عن المغالاة في

---

(١) انظرها في: «سنن سعيد بن منصور»: (١/٣/٦٦)، و«السنن الكبرى للبيهقي»: (٧/٢٣٣)، و«تفسير ابن كثير»: (١/٤٦٧). و«إرواء الغليل»: (٦/٣٤٨). وقد رقم الأستاذُ «نزار محمد عرعور» فيها رسالة لطيفة بعنوان: «القول المعتبر في تحقيق رواية كُل أحدٍ أفقه من عمر» وهي مفيدة جداً أنصح بمطالعتها.

مهور النساء.

٢ ـ مخالفتها لما صح عن الرسول ﷺ بتيسير المهور.

٣ ـ مخالفتها لمعنى الآية التي استشهدت بها المرأة وهي: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٢٠].

* * *

خامساً: تحقيق الألفاظ والمصطلحات:

كثير من الروايات والأخبار تزخر بالألفاظ والمصطلحات التي تفتقر إلى الضبط والإيضاح والتخريج، ويشوب بعضُها عُجمةٌ وغرابة وغموض. وكثير من الروايات والأخبار لا يستقيم معناها إلا بتخريج ألفاظها ومصطلحاتها تخريجاً ينضبطُ مع الأصول والقواعد المتَّبعة في تلك الفنون.

وتحقيق الألفاظ والمصطلحات في المنهج الإسلامي في تفسير الحوادث التاريخية ليس أمراً ثانوياً كما يتوهَّم البعض، بل هو في غاية الأهميَّة، ولا تنجلي كُدْرةُ الروايات وغبشها إلاَّ بتحقيق ألفاظها ومصطلحاتها ومدلولاتها(١).

---

(١) ولذلك طريقان:
الأوَّل: الوقوف على تفسير العلماء الثقات المعروفين بالصَّلاح والتقوى.
الثاني: مطالعة المصنَّفات الموثقة في باب الألفاظ والمصطلحات، وكثرة النَّظر في المعاجم الإسلامية، وقواميس اللّغة ونحوها. وقد ضربَ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب بسهمٍ وافرٍ، وبسطَ هذا =

وممَّا يؤكِّد ما نذهبُ إليه ما أُثير حول البيت الشَعريّ المنسوب إلى الأخطل النَّصراني، والذي يستدلُّ به الأشاعرةُ ومن وافقهم على أنَّ كلام الله ـ تعالى ـ نفسيّ!! وأنَّ إثبات الحرف والصوت لله تعالى تجسيم!!، وهو قوله:

إنَّ البيــان مــن الفــؤاد وإنَّمــا جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤاد دليلاً[1]

وهذا البيت مختلف في نسبته إلى الأخطل النصراني.

وأصدق الأقوال في حقيقة هذا البيت: أنّه مخترعٌ موضوعٌ على لغة العرب..

ولو صحّ أن الأخطل النصراني قد قاله، فلا حُجّة فيه؛ لأنّ الأخطل هذا من الشعراء المولّدين الذين لا يُحتجّ بأقوال أمثالهم على اللغة، وهو نصراني، و«النصارى قد عُرف أنّهم يتكلّمون في كلمة الله بما هو باطل، والخَطَلُ في اللغة في الخطأ في الكلام، وقد أنشد فيهم المنشد:

قُبحاً لمـن نبـذ القـرآن وراءه فإذا استدلّ يقولُ قالَ الأخطلُ»

يطول. انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ففيه فوائد نفيسة، وكذلك «منهاج السنة النبوية»، ولا يُقدِّر هذين الكتابين إلاَّ من تأمَّلهما بإنصاف!

(١) «الإيمان لابن تيمية»: (ص١٣٢) وفيه: «من النَّاس من أنكر أن يكون هذا من شعره، وقالوا: إنَّهم فتَّشوا دواوينه فلم يجدوه. وهذا يُروى عن أبي محمد الخشاب. وقال بعضهم: لفظُهُ: إنَّ البيان لفي الفؤاد..». و«مجموع الفتاوى»: (٦/ ٢٩٦ـ٢٩٧).

وقد تعجّب شيخ الإسلام رحمه الله ممّن يحتجّ بهذا البيت الذي قاله نصراني، ولم يثبت عنه على نفي صفة من صفات الله تضافر الكتاب والسنّة على إثباتها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ولو احتجّ محتجّ في مسألةٍ بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبيّ ﷺ، لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون ممّا اتفق العلماء على تصديقه وتلقّيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح؛ لا واحد، ولا أكثر من واحد، ولا تلقّاه أهل العربيّة بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلاً عن مسمّى الكلام؟»[1].

فانظر رحمك الله كيف أثبت المحقِّقون بطلان البيت المذكور عن طريق تحقيق ألفاظه وكلماته[2]. والأمثلة على هذا كثير في مصنَّفات العلماء الجهابذة، لاسيَّما كتب الإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) رحم الله الجميع.

---

(١) «الإيمان لابن تيمية»: (ص/ ١٣٢)، و«الأصول التي بنى عليها المبتدعةُ مذهبهم في الصِّفات»: (٢/ ٥٣).

(٢) للاستزادة في هذا الباب وأمثاله، انظر: «نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد»، و«سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٨٦، ١٨٧، ٢١١، ٢١٢، ١٢/ ٢٥٥، ١٣/ ٥٧٢ وغيرها)، و«أباطيل وأسمار» لمحمود شاكر، ونحوها من المصنَّفات.

الفصل الرابع

* نقد آراء «لويس شيخو» حول عقيدة أبي تمَّام:

احتج «لُويس شيخو» النَّصراني بخمس حُجَجٍ، دلَّل بها على نصرانية أبي تمَّام. ونعرِضُ الآن كُل حُجَّة من حُججه مع ردِّنا عليها وإبطالها ونقضها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً:

قال لويس شيخو:

أولاً: «اتفق من ذكر والد أبو تمام كالصُّولي والآمدي أنَّه كان نصرانيًّا، فلابُدَّ أنَّ ابنه حبيباً ولد ونشأ على دينه، ومن هذا القبيل يجوز القول أن أبا تمام كان نصرانيًّا» اهـ[1].

قلت: هذه الحجَّة فيها مسألتان مهمَّتان:

الأولى: أنَّ «أوس بن الحارث» كان نصرانيًّا.

الثانية: نشأة «حبيب بن أوس» (أبي تمام) على نصرانية أبيه!

* * *

الأولى: أنَّ «أوس بن الحارث» (والدأبي تمام) كان نصرانيًّا:

---

(١) «شعراء النصرانية بعد الإسلام»(ص/ ٢٥٨).

ذكر بعضُ الأدباء والمؤرِّخين أنَّ «أوس بن حبيب» كان نصرانيًا، وأنَّ اسمه الحقيقي «تيودوس» أو «تدرس» أو «تدوس» أو «بدوس» أو «ثدوس» أو تذوس» العطار![1].

قال أبو القاسم الحسن بن بشير الآمدي: «والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أنَّ أباه كان نصرانيًا من أهل «جاسم» قرية من قرى دمشق، يقال له «تذوس» العطار، فجعلوه أوساً»[2].

وقال الخطيب البغدادي: «قال قوم: إن أبا تمام هو حبيب بن بدوس النصراني، فغيِّر فُصيِّر أوساً»!![3].

وقال أبو بكر الصُّولي: «وقال قوم: هو حبيب بن تدوس النَّصراني، فغيِّر فصيِّر أوساً»[4].

وقال الحافظ الذهبي: «شاعر العصر، حبيب بن أوس الحارث الطائي، من حوران، من قرية جاسم، أسلم وكان نصرانيًا. . .»!![5].

وقال ابن كثير: «حُكي عن بعض الناس أنَّهم قالوا: أبو تمام

---

(1) واستظهر «مرجليوث» و«طه حسين» أنَّ هذا الاسم يونانيّ، وهو خطأ نبَّه عليه «شوقي ضيف» في «الفن ومذاهبه»: (ص/ ٢١٩). وانظر: «دائرة المعارف الإسلامية»: (١/ ٣٢٠).

(2) «الوافي بالوفيات»: (١١/ ٢٢٥).

(3) «تاريخ بغداد»: (٨/ ٢٤٩).

(4) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٢٤٦).

(5) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٦٤).

حبيب بن تدرس النَّصراني، فسمَّاه أبوه حبيب بن أوس بدل تدرس...»[1].

والغريب أنَّ أبا الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ)[2] وغيره من الأدباء والباحثين لم يُثْبِتوا نصرانية «أوس بن حبيب»، بل لم يُورِدوا الخبر الآنف في اسم أبيه وتبديله!!

وقد ترجم «أبو سعد عبدالكريم السمعاني» (٥٦٢هـ) لأبي تمَّام، وأعرض عن إيراد ما ذكرناه آنفاً من رواياتٍ حول نصرانيَّة أبيه[3]. وكذلك «عبدالقادر بن عمر البغدادي» (١٠٩٣هـ) لم يسق ولو حرفاً واحداً عن خبر نصرانيّة والد أبي تمّام![4].

وهنا أودُّ أن أُنبِّه على أمرٍ في غاية الأهميَّة، وهو: أين الدليل الصحيح على أنَّ والد أبي تمَّام كان نصرانيًّا؟ إنَّ جميع من ترجموا لأبي تمام لم يُوردوا دليلاً واحداً يُثْبِت صحَّة ما رووه! فكلُّ ما في الأمر أنَّ جماعة من النَّاس قالوا، أو قيل لهم: إنّ «أوس بن الحارث» كان نصرانيًّا. وهذا يُروى على صيغة التمريض التي تُشير إلى ضعف الخبر المروي!!»[5].

---

(١) «البداية والنهاية»: (٥/ ٣١٢).

(٢) في «الأغاني»: (١٦/ ٤١٤ـ ٤٣١).

(٣) في «الأنساب»؛ (٤/ ٣٦ـ ٣٧).

(٤) في «خزانة الأدب»: (١/ ٣٥٦ـ ٣٥٧).

(٥) فقد يكونُ أصلُ التُّهمة مُلفَّقاً من قِبل خُصومه وأعدائِه، كما سيأتي بيانُهُ في

والحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ على جلالة قدره لم يُورِد بُرْهاناً على أنَّه كان نصرانيًا. أيقصد أنَّه ولد من أبوين ينتميان إلى النَّصرانية؟ أم يقصد أنَّه تنصَّر بنفسه ومارس شعائر النصرانية بحريته بدون تدخل أبويه، ثم مال إلى الإسلام وأسلم بعد ذلك!!

ثم إنَّ الحافظ الذهبي لم يأتي بجديد في ترجمته لأبي تمَّام، إذ الترجمةُ مُهذَّبةٌ ومقتبسة من كتاب «الصولي» الذي صنَّفه في أخبار أبي تمام.

وبعضُ كتب الأدب تروي أبياتاً في الحطِّ من نسبِهِ وفيها تعريض بدين أبيه، وأكثرُها كان على سبيل الهجاء والحسد:

منها ما قاله «مخلَّد بن بكَّار الموصلي» في هجاء أبي تمام:

أنـت عنـدي عـربـيٌّ الـ	أصْـلِ مَـا فيـكَ كـلامُ
عـربـي عـربـي	أَجَئـيٌّ مـا تـرامُ
أنـا مـا ذنبـي إنْ خـا	لفنـي فيـك الأنـامُ؟
وأنـت منـك سجـايـا	نبطيـات لئـامُ
وقفـاً يَحْلِـفُ أَنَّ مـا	عَـرَّقَـتْ فيـكَ الكـرامُ
ثُـمَّ قـالُـوا: جَـاسِمـيٌّ	مـن بنـي الأنبـاط خـامُ
كذبـوا، مـا أنـت إلا عـربـي	مـا تُضـامُ

وقال في قصيدة أخرى:

آخرِ الكتاب.

* ما كُنْتَ إلاَّ نَبطياً قلبًا *

ويقول الصولي: وجدتُ في كُتُبي: وقال الوليد يهجو أبا تمام، وهي قصيدة اخترتُ منها: (ونحن نختار منها أيضاً) قوله: (من البسيط):

دع الهجـاء فـإنَّ الله حَـرَّمَـهُ ... واقْصِد إلى الحق إن الحق متسعُ

واذكر حبيب بن أوشونا ودعوته ... فإن طيًّا إذا سبوا بـه جزعوا

إنْ يقبلوك أبا النقصان يحتقبوا ... عاراً وتخفيض منهم كل ما رفعوا

مرباع قومك ناقوس وشمعلة ... فاذكر مرابيعهم فيها إذا ارتبعوا

وأكثر الأدباء يحملون هذه الأشعار على غير محمل الجدّ، لأنَّها هجاء[1]، ومن عادة الشُّعراء أن يطعنوا في الأنساب والأحساب، ويُلصقوا التُّهم بالمهجو بغير حق، ويُغيِّروا الحقائق والأحداث، من أجل الحطِّ من قدر المهجوّ.

ويرى بعضُ الباحثين أنَّ أبا تمام كان نصرانيًّا من جهة أبيه الذي يعود إلى أصل يونانيّ ويدلل على ذلك بحروف كلمة (تدوس) أو (بدوس)، فيرى أنَّها كانت اسماً لوالد أبي تمام، وقد حرَّفه ابنه إلى (أوس)!! وزعم طه حسين أن صواب الاسم (تيودوس)[2].

---

(١) «أخبار أبي تمام للصُّولي»: (ص٢٣٥ ـ ٢٣٦)، و«أبو تمام الطائي ـ حياته وشعره»: (ص٨ ـ ٩).

(٢) سبق التنبيه على ضعف هذا القول قريباً.

وزادوا على ذلك: كان (تدوس) نصرانيًّا يبيع الخمر في دمشق، وقالوا أيضاً: كان عطاراً!![1].

والخلاصة مما تقدَّم أنَّ ديانة والد أبي تمام النصرانيَّة موطنُ بحثٍ ومحلُّ شكٍّ. ومُقيِّد هذه الأسطر لا يرى دليلاً على إثباتها، ولا يجترئ على نفيها ومسها، لكن في النَّفس منها شيء!

وعليه فلا حُجَّة لـ «لويس شيخو» النَّصراني للتعلُّق بهذه الشُّبهة لإثبات نصرانية أبي تمام[2].

* * *

الثانية: نشأة «حبيب بن أوس» (أبي تمام) على نصرانية أبيه!:

إن سلَّمنا جدلاً بنصرانية «أوس بن الحارث» (والد أبي تمام) ـ من باب التنزُّل مع الخصم ـ فهل معنى ذلك أن أبا تمام تبع أباه في التمسُّك بالشعائر النصرانية عروةً عروةً!

تكاد الشواهد التاريخية تُثبت لنا بيقين صدق ما ندَّعيه من أنَّ أبا تمام لم يتبَع أباه في نصرانيته، ويمكن إجمال تلك الشواهد في الآتي:

أ ـ ما قرَّره كثير من الدارسين والباحثين من أنَّ أبا تمام لمَّا بلغ سنَّ

---

(1) «وفيات الأعيان»: (٢/ ١٧)، و«البداية والنهاية»: (١٠/ ٢٩٩).

(2) وقد ردّ الأستاذ «محمد رشاد صالح» في كتابه: «نقد كتاب الموازنة بين الطائيين»؛ على «طه حسين» الذي أيّد القول بنصرانية والد أبي تمام، فعارضه وقال: «هذا الاستدلال مما لا تنهضُ به حُجَّة»: (ص/ ١٦٨).

الرشد[1] اعتنق الإسلام، وأصبح شديد الحماسة في الدِّفاع عنه، وله في ذلك أبيات كثيرة وقصائد عديدة منثورة في ثنايا ديوانه، وفي هذه العجالة نورد هذه الأبيات:

أُصوِّت بالدنيا وليست تُجْيبُني ... أُحاول أن أبقى وكيف بقائيا؟
أخاف إلهي ثم أرجو نواله ... ولكنَّ خوفي قاهرٌ لرجائيا
ولولا رجائي واتكالي على الذي ... توحَّد لي بالصنع كهلاً وناشياً
لما ساغ لي عذبٌ في الماء باردٌ ... ولا طاب لي عيش ولا زلتُ باكياً
على إثر ما قد كان منِّي صبابةً ... ليالي فيها كنتُ لله عاصياً
فإنِّي جدير أن أخاف وأتقِّي ... وإن كُنْتُ لم أشرك بذي العرش ثانياً
وأدخَر التقوى بمجهود طاقتي ... وأركبُ في رشدي خلاف هوائيا[2]

فهذه الأبيات اليسيرة يشعر من قرأها بصدق أبي تمام في مناجاته لربِّه تعالى، والتضرُّع والانكسار بين يديه، والاعتراف بذنوبه وأوزاره؛ مع الإقرار لخالقه بالتوحيدِ الخالصِ الذي لم يُخالِطه شرك، كل ذلك يكمل برجائه وتوكله على مولاه الذي لم يتخل عن لطفه به صغيراً كان أو كبيراً.

* * *

---

(١) أي ظهرت عليه أمارات البلوغ والأهليَّة. وإلاَّ فالأصلُ أنَّه ولد مسلماً ونشأ نشأة مسلمة، بدليل حفظه للقرآن في الكتاتيب. انظر: المصدر السابق: (ص/ ١٧٠).

(٢) «شرح ديوان أبي تمَّام»: (٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

٢ ـ أتبع «حبيب بن أوس» الفكرة التي جنحت إلى خياله بالقرار والعزم الأكيد، وكان ذلك من خلال أربع وسائل:

* الأولى: اختلافه إلى حلقات المساجد وحلقات العلماء في دمشق.

* الثانية: مُغادرتُهُ إلى (حِمص)، للتكسُّب والتعرُّف على الشعراء، وسيأتي مزيدُ بيانٍ لهذا الأمر في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

* الثالثة: رحيله إلى مِصر (سنة ٢٠٨هـ)[1] أي بعد عشرين سنة من ولادته في قريته (جاسم)، فجعل يسقي الماء في المسجد الجامع (مسجد عمرو بن العاص)، ويستمع إلى حلقات العلم والأدب، ويتنقّل من حلقة إلى حلقة، مرَّة إلى الفِقه، ومرَّة إلى الحديث، وثالثة إلى الشِّعر، وغيرها من فنون العلم والمعرفة، ولقد قيل: إنَّه حفظ القرآن الكريم، ولا يوجد شاعر من شعراء العربية تأثَّر بالقرآن تأثر أبي تمام به[2].

الرابعة: معاشرتُهُ للعلماء في بغداد، ومخالطته للشعراء فيها، وقد شهد له الخطيبُ البغداديُّ بخيريَّة الدِّين والأدب، فقال عنه وعن

---

(١) يرى بعض الباحثين أنَّ أبا تمام نزل مصر مرتين: الأُولى سنة (٢٠١هـ) والثانية سنة (٢١٤هـ)، انظر: «أبو تمام الطائي، حياته، وشعره»: (٦٢ ـ ٦٤). والمسألة تقريبيَّة اجتهادية!

(٢) «تاريخ بغداد»: (٨/٢٤٨)، و«سرح العيون»: (ص٣٢٤).

الشعراء: «وقد كان الشعراء في زمانه جماعة، فمن مشاهيرهم: أبو الشيص، ودعبل، وابن أبي قيس، وكان أبو تمَّام من خيارهم ديناً وأدباً وشعراً وأخلاقاً»[1].

❊ ❊ ❊

٣ ـ يزخر التاريخ بروايات وأخبار صحيحة عن أناس خالفوا أهليهم في الدِّيانة والتحنُّث وتمرَّدوا على أعرافهم وتقاليدهم، فنشأوا نشأة الفِطرة المستقيمة، وأرضوا ربهم ابتغاء جنَّته وطمعاً في رحمتِهِ، وحسبُنا من ذلك مثالين اثنين نسوقهما بإيجاز:

الأوَّل: «أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها» كانت من الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة، وكانت برفقة زوجها «عبيد الله بن جحش بن رئاب»، وكان ذلك ـ طبقاً لرواية ابن سعد ـ في الهجرة الثانية إلى الحبشة.

أما كيف تنصَّر فتشير الروايات إلى أن عبيد الله بن جحش مرَّت حياته بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها، حتى انتهى به الأمر إلى أن دخل في النصرانية وهو في الحبشة ومات عليها، وبيان ذلك في رواية ابن إسحاق التالية:

قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويديرون به

---

(١) «تاريخ بغداد»: (٨/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نجيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: ورقة بن نوفل: وعبيد الله بن جحش بن رئاب، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم.

فأما ورقة فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب، وأما عُبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصّر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانياً.

ولئن كنا لا نعلم الأسباب والدوافع التي جعلت عبيد الله يرتدّ عن الإسلام فلا شك إنها شقوة أدركته، وهو يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، بل بلغ به الأمر أنه كان يسخر بالمسلمين ويلمزهم بعد تنصره هو بالحبشة ويرى أنه أصاب الحق وأخطأوه.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: كان عبيد الله بن جحش حين تنَصر يمرُّ بأصحاب رسول الله ﷺ وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول: فقَّحنا وصأصأتم: أي أبصرنا وأنتم تلتمسون

البصر ولم تُبْصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صاصأ لينظر، وقوله: فقح: فتح عينيه[١].

وصدق الله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ...﴾ [فاطر: ٨]

وثبَّت الله تعالى أُمّ حبيبة على الإسلام، فلم تزغ ولم تشك في دينها، ولم تهن لتنصُّر بعلها مع أنَّها كانت في أرض غربةٍ، وكان أبوها في عِداد المشركين، ومع ذلك ثبتت على إسلامها.

وجاء في رواية طويلة عن الواقدي بسنده إلى أم حبيبة ما يفيد فزع أم حبيبة من تنصُّره، ومحاولتها التأثير عليه، وإصراره هو على النصرانية التي دان بها قبل إسلامه.

تقول أم حبيبة ـ في هذه الرواية ـ رأيت في النَّوم عبيد الله زوجي بأسوأ صورة وأشوهها، ففزعتُ وقلت: تغيَّرت والله حاله! فإذا هو يقول حيث أصبح: إنِّي نظرتُ في الدِّين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنتُ قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، وقد رجعتُ، فقلت: والله ما خيرٌ لك، وأخبرته بالرؤيا فلم يحفل بها، وأكبَّ على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت فأوَّلتُها أن رسول الله ﷺ يتزوجني...، وذكرت بقية القصة بطولها[٢].

---

(١) «سيرة ابن هشام»: (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) «طبقات ابن سعد»: (٨/ ٩٧ ـ ٩٨)، و«مستدرك الحاكم»: (٤/ ٢٠ ـ ٢٢)، و«سير النبلاء»: (١/ ٤٤١، ٤٤٣)، وانظر: «الهجرة الأولى في الإسلام»:

الثاني: الروايات والأخبار الصحيحة نقلت لنا أنباء كثيره من النَّصارى الذين انتقلوا إلى الإسلام من النصرانية، التي نشأ عليها آباؤهم وأجدادهم، وقضوا أعمارهم في الذَّود عنها والتضحية من أجلها، فلم يمنع الأبناء أن يُخالفوا آباءهم في دينهم، بل كان كثير منهم بعد إسلامه شديد النَّدم طويل الحسرة على أيام نصرانيته وضلاله الذي أضاع فيه عمره لولا أن تداركه الله برحمته فآمن واهتدى.

والأمثلة على هذا أكثر من أن تُذْكر أو تحصر، ولعلّ من أشهرها ما رواه «ابن هشام» (٢١٣هـ) وغيره في قِصَّة إسلام «عديّ بن حاتم الطائي» (٦٨هـ) ـ رضي الله عنه ـ وخروجه من ديانته «الركوسيَّة» التي كان يتعبَّد بها واقتناعه بالإسلام وحُبِّه وعمله في الدِّفاع عنه بكل ما أُوتي. وقصتة مشهورة حين قدم إلى الرسول ﷺ وحادثه وأخبره الحبيب ﷺ بأمورٍ لا يعلمها إلا رسول مرسل[1]. وفي قصة وفد نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ وكانوا ستين راكباً، شاهد عظيم لما نحنُ بصدده، فقد كان كثير منهم غير راضين بالنصرانية بل لم يحفِلوا بها ديانةً فضلاً عن أن تكون مُعْتَقداً راسخاً! روى ابن هشام أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم، فكلما مات رئيسٌ منهم فأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيسُ الذي كان على عهد النبي

(١٧٢ ـ ١٧٦) وفيه فوائد.

(١) «سيرة ابن هشام»: (٤/ ٥٧٧).

ﷺ يمشي فعثر، فقال له ابنه: تعس الأبعدُ! يريد النبي ﷺ فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبيٌّ، واسمه في الوضائع، يعني: الكتب. فلما مات لم تكن لابنه هِمَّة إلا أن شدَّ فكسر الخواتم!، فوجد فيها ذكر النبي ﷺ فأسلم فحسُن إسلامه وحجَّ، وهو الذي يقول:

إليك تعدو قلقاً خيفها   معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها[1]

* * *

وبعد هذا فكيف يزعم «لويس شيخو» النَّصراني، أنَّ أبا تمام تبع أباه في ديانته؟! لقد أثبتنا بالبراهين أن كثيراً مما ذهب إليه «لويس» بهذا الشأن لا يقوم على دليل قاطع ولا ركن ثابت، بل هي أوهام روَّجها لإثبات نصرانية أبي تمام!!

* * *

قال لويس شيخو:

ثانياً: «لنا في اسمه حبيب وهو من الأسامي الشائعة بين النَّصارى النادرة بين المسلمين ما يدلُّ على نصرانيته»!

قلت: كلامه هذا لا يصح من أربعة وجوه:

الأول: أنَّ اسم «حبيب» ليس من الأسماء الشائعة بين النَّصارى كما زعم «شيخو»!

---

(١) «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٥٦١).

الثاني: في تراجم العلماء ودواوين الإسلام مِئات الأعلام المسلمين الذين تسمَّوا بـ(حبيب)، ومن أشهرهم:

- حبيب بن أوس الثقفي «رضي الله عنه»: صحابيٌ شهيد فتح مِصر، وأسلم في حَجَّة الوداع، وأصلُهِ من ثقيف.

- حبيب بن بديل «رضي الله عنه».

- حبيب بن الحارث «رضي الله عنه».

- حيب بن حباشة «رضي الله عنه»، صلَّى عليه النبي ﷺ بعد وفاته من جراحةٍ أصابته.

- حبيب بن حبيب «رضي الله عنه»: قال ابن الكلبي: «كان يُقال له حبيبُ بن بغيض فوفد على النبي ﷺ فقال له: أنت حبيب بن حبيب».

- حبيب بن حماز الأسدي «رضي الله عنه».

- حبيب بن حمامة «رضي الله عنه».

- حبيب بن خراش العصري «رضي الله عنه».

- حبيب بن خراش الحنظلي «رضي الله عنه».

- حبيب بن خماشة الخطمي «رضي الله عنه».

- حبيب بن رُبيِّعة السلمي «رضي الله عنه».

- حبيب بن ربيعة الثقفي «رضي الله عنه».

- حبيب بن رياب «رضي الله عنه».

- حبيب بن زيد «رضي الله عنه» .

- حبيب بن زيد المازنيّ «رضي الله عنه» .

- حبيب بن زيد الكندي «رضي الله عنه» .

- حبيب بن سعد «رضي الله عنه» .

- حبيب بن الضحَّاك الجهني «رضي الله عنه» .

- حبيب بن عبدالله الأنصاري «رضي الله عنه . » .

- حبيب بن عبدشمس بن المغيرة «رضي الله عنه» .

- حبيب بن عمرو الثقفي «رضي الله عنه» .

- حبيب بن عمرو الأنصاري «رضي الله عنه» .

- حبيب بن عمرو السلاماني «رضي الله عنه» .

- حبيب عمرو الطائي الأجئي «رضي الله عنه» .

- حبيب بن عمرو، وهو ممن روى الحديث المشهور: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ على قومٍ قال: «السلام عليكم» رجاله ثقات [كذا قال ابن حجر في الإصابة] .

- حبيب بن عمير الخطمي «رضي الله عنه» .

- حبيب بن فُويك «رضي الله عنه». ذكره البغوي وابن السكن وغيرهما .

- حبيب بن مخنف الغامدي «رضي الله عنه» .

- حبيب بن أبي مرضية «رضي الله عنه».

- حبيب بن مروان التميمي المازني «رضي الله عنه».

- حبيب بن مسلمة الفِهري «رضي الله عنه».

- حبيب بن ملة الكناني «رضي الله عنه».

- حبيب بن يزيد الأنصاري «رضي الله عنه».

- حبيب بن أبي اليسَر الأنصاري «رضي الله عنه».

- حبيب السلمي «رضي الله عنه».

- حبيب العَنزي «رضي الله عنه».

- حبيب الكلاعي، أبو ضمرة «رضي الله عنه»[1].

أُولئك كوكبةٌ من أهل الإيمان والتُّقى ممَّن صحبوا رسول الله ﷺ، وكُلُّهم كما تقدَّم - اسمهم - (حبيب)، ولولا خوف الإطالة لأفضت الحديث في تراجمهم وحياتهم.

* * *

وأُقيِّد هُنَا أسماء كوكبةٍ أُخرى من علماء الإسلام والمسلمين، مع ذكر ما يتيسَّر من فوائد وفرائد تراجمهم باقتضاب:

---

(1) «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٢/ ١٣ - ٢٤)، و«أسد الغابة»: (٢/ ١١ - ١٣).

ـ حبيب بن مُظهَّر الكندي الفقعسي (. . . ـ ٦١هـ): تابعي، قائد، شُجَاع، صحب علياً رضي الله عنه في حروبه كلها[١].

ـ حبيب بن عبدالرحمن بن حبيب الفهري: (. . . ـ ١٤٠هـ): قائد، شُجَاع، من الأُمراء، يُلَّقب بـ(صاحب إفريقية)[٢].

ـ حبيب بن أحمد الشَّطَجيري: (. . . ـ ٤٣٠هـ): أديب أندلسيّ، من أهل قرطبة، أدرك أيّام الحكم المستنصر، وبلغ سِّناً عالية. وهو الذي جمع ديوان شعر الغزال (يحيى بن حكم) ورتَّبه على الحروف[٣].

ـ حبيب بن مُرَّة بن عقبة الفِهريّ: (. . . ـ ١٢٤هـ): قائد، من الولاة، ولد ونشأ بمصر، ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، وولي بها ولايات[٤].

ـ حبيب بن عبدالملك بن عمرو الأُمويّ: (. . . ـ ١٦٠هـ): أمير أموي، له أخبار حسنة مع «عبد الرحمن الداخل» رحمهما الله تعالى[٥].

* * *

(١) «لسان الميزان» (٢/ ١٧٣).

(٢) «تاريخ ابن خلدون»: (٤/ ١٩٠).

(٣) «جذوة المقتبس»: (ص/ ١٨٦).

(٤) «جذوة المقتبس»: (ص/ ١٨٧).

(٥) «الحلة السيراء»: (ص/ ٤٥).

الثالث: أَنَّ أصل كلمة «حبيب»: «أَحبَّ» وهو لفظٌ إسلاميّ عريق جاء ذكره في القرآن والسّنَّة وأقوال سلف الأُمَّة. ولا يحق لأحدٍ من الطوائف أن يَنسِبهُ إلى نفسهِ أو يزعم أحقِّيته من غير بُرهانٍ كما زعم «لويس شيخو» وغيره من عبّاد الصَّليب الكافرين بالله ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلومة.

وهذا رسول الهدى ﷺ يقول: **«من أحبَّ أن يُبْسَط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»**[1].

وقال ﷺ: **«من أحبَّ أن تسرَّه صحيفتُهُ، فليُكثر فيها من الاستغفار»**[2].

وقال ﷺ: **«من أحبَّ لقاء الله، أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»**[3].

---

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٤/ ٩٠) وإسناده حسن.
(٣) متفق عليه.

وقال ﷺ: «**من أحبَّني فليُحبَّ أُسامة**»[1].

والأحاديث في هذا المعنى لا حصر لها، فليتأمَّل من كان ذا بصيرة، يُدرك أنَّ «لويس شيخو» النصراني يُسفسط الحقائق، ويُورد الكلام على عواهنه بلا تدبُّر إمَّا عمداً ـ وهو ما نكادُ نجزمُ بهِ ـ وإمَّا جهلاً باللُّغة والأدب ولِسان العرب، وهذا ـ عندي ـ بعيدٌ يُعرف بُداهةً من قراءة ترجمته ومطالعةِ كتاباته!!

الرابع: أنَّ هناك أسماءً مشتركة بين المسلمين والنصارى، عُرفت وأُشتهرت في كتب التراجم والطبقات، مع ما للمسلمين من خصوصيَّة في الأسماء والألقاب واللِّباس والعادات لا يجوز شرعاً أن يجاوزوها إلى غيرها من الطوائف والدِّيانات المختلفة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «لكل قومٍ شريعة ومِنهاج». فمن النَّصارى من يتسمَّى بـ «محمد» و«أحمد» و«عليّ» و«عبدالمطلب» و«عبدالدائم» و«عبدالتَّواب». وهي من أسماء المسلمين. ومن المسلمين من يتسمَّى بأسماء تُوحي لسامعها أنَّه ممن ينتمون إلى النَّصارى، والأمر بخلافه، مثل: «حبيب» الذي تسمَّى به كثير من الصحابة رضي الله عنهم ـ كما مرَّ معنا ـ، وفي الوقت نفسه تسمَّى به قليل من النَّصارى، ومن أشهرهم: «حبيب التكريتي» (أبو رائطة) عاش في القرن الثالث الهجري، وصنَّف

---

(١) أخرجه مسلم.

مقالة في «الثالوث الأقدس»!![1]. و«حبيب شيزو اليسوعي»: قسّ، عاش في سورية وبلاد فارس (ت: ١٠٧٥هـ)[2]. وتسمَّى بعضُ الشيعة بـ (حبيب) مثل: «حبيب بن أحمد بن مهدي النَّجفي»: كان حياً قبل سنة ١٢٢٨هـ[3]. و«حبيب بن محمد النجفي» (ت: ١٣٣٦هـ)[4]، و«حبيب بن محمد الموسوي»: كان حيَّاً سنة ١٣٠٣هـ[5]، و«حبيب بن موسى النجفي» (ت١٣٥٩هـ)[6].

وكثير من المسلمين السنة تسمَّوا باسم (حبيب) وقد مَّر ذلك معنا قبل صفحات.

* * *

قال لويس شيخو:

«**ثالثاً**: وليس في نسبته إلى (طيّ) ما يَنفي نصرانيته، فقد أثبتنا في كتابنا النَّصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية شيوع النَّصرانية في قبلة طيّ وثبات قِسمٍ كبيرٍ من بُطونها على نصرانيتهم حتى بعد الإسلام بزمنٍ

---

١) «معجم المؤلفين»: (١/ ٥٢٥).
٢) «معجم المؤلفين»: (١/ ٥٢٥).
٣) «الأعلام»: (١/ ١٩١)، و«معجم المؤلفين» (١/ ٥٢٤).
٤) «معجم المؤلفين»: (١/ ٥٢٦).
٥) «معجم المؤلفين»: (١/ ٥٢٧).
٦) «أعلام الشيعة»: (١/ ٣٥٢).

طويلٍ».

قلتُ: كلامُهُ هذا لا يخلو من تُخليط في الأمور، وتزوير في الحقائق، ورجمٍ بالغيب، وإيهامِ القُراء بآراءٍ مغلوطةٍ، وأخبار مُلفَّقةٍ مكذوبةٍ، وهذا يتضح إن شاء الله في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: دّيانة طيّئ في الجاهلية والإسلام: اتخذت قبلة طيئ عبادة الأصنام ديناً وثنياً من دون الله تعالى، فوقعت في الشرك كغيرها من القبائل المختلفة، ومن أشهر أصنامهم: ـ صنم الفلس وكان بنجد قريباً من (فيد) وسدنته من بني بولان من طيئ وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ، أسود اللون كأنه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده، ولا يطردُ أحدُ طريدة فيلجأ بها إليه إلا تركت له ولم تخفر حويته (والحوية: استدارة كل شيء) والمعنى أنه ما صار في حوزته وحرمه يترك له.

وكانت سدنته بنو بولان، وبولان هو الذي بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفي.

وكانت طيئ قد قلدت الصنم سيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رسوب، أهداهما إليه الحارث بن أبي شمر، وعندما غُزيت طيّئ من قبل المسلمين بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حطَّ صنم طيّئ بأمر النبي ﷺ وأخذ عليُّ السيفين[1].

---

(١) «المحبر»: (ص٣١٦).

كما تعبَّدت طيّئ لصنم آخر هو (رُضي) وتعبَّدت لصنم ثالث هو (سهيل) واشتركت في عبادة لصنم (عائم) مع قيس وقبائل أخرى.

وتحطمت هذه الأصنام بفؤوس المسلمين بعد أن عرفوا بأنها حجارة لا تضر ولا تنفع ولم ينظر لهذه الأصنام الحجرية المنحوتة من الناحية الفنية على مر الأيام... ؟

- اليعبوب: صَنُم لجديلة طيّئ، ربما كان هذا الصنم على هيئة الفرس لأن اليعبوب في اللغة: الفرس السريع الطويل، أو الجواد السهل في عدوه، أو البعيد القدر في الجري، وبه سموا أفراساً مشهوراً لهم.

- بَاجَرُ: وهم صنم كان للأزد في الجاهلية، ومن جاورهم من طيّئ وقضاعة كانوا يعبدونه[1].

وهكذا انتهت الوثنية التي كانت متفشية بين قبائل الحجاز في الغالب، وكذلك المجوسية، والزنادقة، حتى الأديان السماوية الثانية اختفت في جزيرة العرب، وأصبح الدين الإسلامي دين العرب، وعادوا إلى الحق بعد أن ضلوا الطريق وغووا بعبادتهم الأصنام. وشاء الله أن يهدي قبيلة طيّئ، فوجَّه الرسولُ ﷺ: «عليّ بن أبي طالب» - رضي الله عنه - في السنة التاسعة من الهجرة في سريّة إلى بلاد طيّئ، فأغار عليهم، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما: رَسوب وللآخر المخذم، كان الحارث بن أبي شمر نذرهما له، وحطَّم

---

[1] «الاشتقاق»: (ص/ ٥٦) و«الأصنام»: (ص/ ١٥).

صنمهم الفلس، وسبى منهم، وكان بين السبي ابنة حاتم طيّئ، أي أخت عدي الذي هرب إلى الشام.

فجُعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبسن بها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلةً ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك! قال: ومَنْ وافدك؟ قالت: عديُّ بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله وتركني، حتى إذا كان الغد مرّ بي وقد أيِسْتُ، فأشار إليَّ رجل من خلفه: أن قومي إليه فكلميه، قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامننْ عليَّ مَنَّ الله عليك! قال: قد فعلتُ فلا تعجلي بخروجٍ حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلّغك إلى بلادك ثم آذنيني. قالت: وأقمن حتى قدم ركب من بَليّ ـ أو من قضاعة ـ قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عديّ: فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليَّ تؤمُّنا. قال: فقلت: ابنة حاتم؟ قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي انسحلت تقول: القاطع الظالم! احتملت بأهلك وولدك، وتركت بُنية والدك وعَوْرَتَهُ! قال: قلت: يا أخيّة، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي،

فقلت لها وكانت امرأة حازمةً: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فالسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكاً فلن تذلَّ في عز اليمن وأنت أنت! قلت: والله إن هذا للرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلَّمتُ عليه، فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامِدُ بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها.

قال: فقلت: في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته فتناول وسادةً من أدم محشُوَّةً ليفاً فقذفها إليّ، فقال لي: اجلس على هذه، قال: قلت: لا بل أنت، فاجلس عليها، قال: لا بل أنت. فجلس وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم! ألم تكن ركوسياً[1]! قال: قلت: بلى، قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع! قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك، قال: قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبيٌّ مرسل يعلم ما يُجهل، قال: ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما

---

(١) الرَّكوسية: قوم لهم دين بين دين النَّصارى والصَّابئين.

ترى من حاجتهم! فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يُوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعلَّه إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت. قال: فأسلمت. فكان عدي بن حاتم يقول: مضت الثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

وفي رواية ثانية يقول: عدي: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان ـ أو صبيّ ـ فذكر قربهم من النبي ﷺ فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر، فقال لي: «**يا عدي بن حاتم، ما أخّرك أن يقال؟ لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ وما أخّرك؟ أن يُقال الله أكبر؟ فهل من شيء هو أكبر من الله ؟فأسلمت فرأيتُ وجهه استبشر**»[1].

وكان يقول عدي قبل إسلامه: فيما بلغني: ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني، أمّا أنا فكنت امرأً شريفاً،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١١١)، و«الكامل في التاريخ»: (٢/ ٢٨٥).

وكنت نصرانياً أسير في قومي في المرباع[1]، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يُصنع بي، فلما سمعتُ برسول الله كرهته.

ويُعدُّ وفد طيئ الذي وقد على الرسول ﷺ من خير الوفود وأكثرها بركةً، فقد قدم على رسول الله ﷺ وفد طيئ، فيهم زيد الخيل، وهو سيّدهم، فلما انتهوا إليه كلَّموه، وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم، وكان على وفدهم زيد الخيل، وسماه الرسول ﷺ زيد الخير، وجاء أن النبي ﷺ قال: «**ما ذُكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يُبْلَغ فيه كل ما فيه**» وقطع له فيداً وأرضين معه، وكتب له بذلك، فخرج من عند النبي راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله: «**إن يَنْجُ زيدٌ من حُمَّى المدينة!**» سمَّاها رسول الله ﷺ باسم غير الحُمى وغير أمِّ مَلْدَم فلم يُثْبته - فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة، أصابته الحُمَّى، فمات بها، فلما أحسَّ زيد بالموت قال:

أمُرتَحِلُ قَوْمي المَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتـرَكُ فـي بَيْـتٍ يَفْـردَةَ مُنْجـدِ
ألا رُبَّ يومٍ لَوْ مَرِضتُ لعَادني ... عَوَائِدُ مَن لم يُبر مِنهنَّ يَجْهدِ

وكان قدوم وفد طيئ وإعلان إسلام طيئ في السنة العاشرة للهجرة وفي السنة نفسها كانت وفاة زيد الخير[2].

---

(1) المِرباع: أخذ الرُّبع من الغنائم.
(2) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٥).

وبعد وفاة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشرة؛ ارتدَّت كثير من القبائل العربية عن الإسلام ومنعوا الزكاة، وثبَّت الله قبيلة طيئ على الإسلام والإيمان فلم يزيغوا ولم ينحرفوا عن صراط الله[1]، وجمع «عديّ بن حاتم» قومه فقال لهم ناصحاً ومذكِّراً: «يا معشر طيئ، إنكم إن أقمتم على دين الإسلام، أصبتم الدنيا والآخرة، وإن رجعتم عنه، خسرتم الدنيا والآخرة، واستغنى الله عنكم، وعلمتم أن الله تبارك وتعالى قد قبض نبيكم محمد ﷺ وهذا خليفته قد قام بأمره في أمته، فوفروا عليه صدقاتكم، ولا تمنعوها فإن منعها يمحق المال، ويقرب الأجل، (خفوا) إلى قتال أهل الردة من أسد، وغطفان، وفزارة، فإن الخليفة قد عزم على غزوهم فإنكم أقيالهم في الجاهلية، وشجعانهم في الإسلام، وأنتم اليوم خير منكم أمس، والسلام».

ثم أنشأ عدي بن حاتم يقول:

ألا إنّ هذا الدينَ أصبحَ أهْلُهُ ... على مثلِ حَدِ الْسَيْفِ بَعْدَ مُحَمَدِ
ولا ذاكَ عن ذل ولا عن مخافة ... على الدين والدُّنيا لإنجاز موعد
ولكـنْ، أصبْنَـا بـالنبـيّ فَلَيلنـا ... طـويـلٌ كليـل الأرمـد المُتلـدد
وإنـا وإن جـاشـت فـزارة كُلّهـا ... وذبْيَان في موج من البحر مزبد

---

(١) وقد جزم الكَلَاعيّ في «حروب الردة»: (٧٠٢٤٢)، والديار بكري في «تاريخ الحميني»: (٢/ ٢٠٢/ ٢٠٥) بأن (طيئ) لم ترتدّ عن الإسلام، فالحمد لله على الإسلام والسُّنَّة.
وانظر أيضاً: «أسد الغابة»: (٢/ ٣٠١).

وأجرى لهم فيها ذبول غروره ... طليحة مأوى كل غاو وملحدِ
نغاورهم بالخيل حتى نُقيمَهم ... بصم العوالي والصفيح المُهند
وحتى يقروا بالنبوة أنها ... من الله حق والكتابُ لأحمد
وقد سرّني منكم معاشر طيّءٍ ... حماية هذا الدين منْ كل معتد
وبيعكم أموالكم ونفوسكم ... رجاء الذي يجزي به الله في غد
واعطاؤكم ما كان من صدقاتكم ... بغير جِهَاد من لسانٍ ولا يدِ

وبعد أن أكمل عدي بن حاتم خطابه النثري والشعري لقبيلته وثبت زيد الخيل الطائي، فقال: «يا معشر طيئ اعلموا أنكم مثل الإكليل من مضر، وأقرب القوم إليكم أسد وغطفان، وقد كنتم شجعانهم في الجاهلية، وقد برئ الله منهم لرجوعهم عن دين الإسلام، ومنعهم الزكاة، وهذا أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وقد عزم أن يوجه إليهم بخالد بن الوليد في المهاجرين والأنصار، فكونوا سيفه القاطع، ورمحه النافذ، وسهمه الصائب». فأجابته قبائل طيئ إلى جميع ما أحب فأنشد زيد الخيل يقول:

أُمامَ أَما تَخشينَ بنت أبي نَصرِ ... فقد قَامَ بالأْمر الجَلي أبو بكر
نجي رسول الله في الغار وحده ... وصاحبه الصديق في معظم الأمر
أمامة إن القوم عموا بفتنةٍ ... تكون عليهم مثل راغبة البكر
بنوا أسد من بعد ذُبيان ردّهم ... طليحة من بعد الهداية للكفر
فقل لبني بذر إذا ما لقيتهم ... متى كنتم الأذناب آل بني بدر
فإن تمنعوا حق الزكاة وتتركوا ... صلاة، وفي هاتين قاصمة الظهر

فنحن لأجلاب الحوادث عرضةٌ وما مثلنا حي على العسر واليسرِ
نُقاتلكم في الله حتى نقيمكم بِصُمِ العوالي والمُهندة السُّمرِ

وجمع عدي بن حاتم وزيد الخيل ما كان قَبِلهما من إبل الصدقة وغيرها حتى قدما على أبي بكر.

وفزع أهل المدينة لكثرة ما رأوا من إبل الصدقة وظنوا أنَّه عسكر ورد عليهم.

ثم تقدم عديُّ بن حاتم حتى سلَّم على أبي بكر وقال: «يا خليفة رسول الله هل تعرفني؟ قال: نعم أنت عدي بن حاتم الذي أسلمت إذا كفروا وأقبلت حين أدبروا، وأوفيت إذ غدروا، وقد عرفتك، وعرفت صاحبك زيد الخيل، ولو لم أعرفكما لكان الله يعرفكما».

فقال عدي: «يا خليفة رسول الله، إنَّا أطعنا رسول الله بطاعة الله وأطعناك بطاعة رسول الله ﷺ وهذه قبائل طيّئ وقد أتيناك ونحن خارجون إلى قتال أهل الردة إذا أنت عزمت على ذلك ولا قوة إلا بالله».

فدعا لهما أبو بكر بخير وأثنى عليهما ثناء حسناً، ثم تقدَّم فتىً من آل طيّئ فأنشأ يقول:

وَفينا وفاء لم ير الناس مثله وسربلنا «مجداً» عدي بن حاتم
وقد كان زيد الخيل فيها ابن حرة عدواً لمن عادى وسلم المُسَالم
«أفاءا» على الصديق أنعام طيئ بصيران بالعليا وكسب المكارم
وإن لنا قول النصيحين بالتي تخيرها الركبان أهل المواسم
ألا إن هذا الدِّين لله طاعة فالقوا على من شاءكُمْ بالجرائم

وما لكما بعد التميمي مالك ... وصاحبه قيس الظلوم ابن عاصم
ولا ما أتى البدري فيها وقومه ... عينيةُ ذاك الرأي رأي الغشائم
تمادوا وكانوا في ظنونٍ كثيرة ... متى تكْشِفُوها تقرعوا سن نادم
فلما أتاهُم خالدٌ في جموعه ... تنادوا وعضوا وعنْدها بالأباهم
وصاروا جميعاً في اللقاء فكلّهم ... أحاديث طسم أو كأضْغَاثِ حَالِم[1]

المسألة الثانية:

نتحقَّق هنا من أمرين مهمين أَثارهما «لويس شيخو» النَّصراني الصليبي، وهما:

(أ) هل كانت النَّصرانية ديانةً مُنتشرةً في قبيلة طيئ؟

(ب) هل تمسَّك نصارى طيئ بنصرانيَّتهم بعد انتشار الإسلام؟

* * *

(أ) هل كانت النَّصرانية ديانةً مُنتشرة في قبيلة طيئ؟

سبق أن ذكرنا في الصفحات السابقة أنَّ قبيلة طيئ اتَّخذت الأصنام ديناً تتعبَّد الله تعالى به ـ شأنُها في ذلك كشأنِ سائرِ القبائل

---

[1] انظر: «الردة»: (١٠٥)، و«الاستيعاب»: (٢/ ٥٥٩). و«أُسد الغابة»: (٢/ ٣٠١) و«الإصابة»: (٢/ ١٠٠). «وتهذيب ابن عساكر»: (١/ ١٢٧). و«شرح العيون»: (١١٩)، و«قبيلة طيئ في الجاهلية والإسلام»: (ص/ ٩٦، وما بعدها).

المختلفة ـ ومن أصنامهم: (الفلس) و(رُضى) و(سهيل) و(عائم) و(اليعبوب) و(بَاجَر).

ويُقِّرر كثير من المؤرخين انتهاء الوثنيَّة والمجوسيَّة والزندقة، وكذلك اليهوديَّة والنَّصرانيَّة من أرض الجزيرة العربية لا سِّيما قبائل الحجاز التي كانت متفشية فيها في الغالب. وشاء الله أن يكون الدين الإسلاميُّ هو الدِّينُ المهيمن على كل الأديان، ودخل الناسُ فيه أفواجاً وقد انشرحت صدورهم واطمأنَّت نفوسهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] [١].

وقد أبلت «طيءٌ بلاءً حسناً في الإسلام، ولها في ذلك صفحاتٌ من نور، ومداد من ضياء، ويمكن اجمال ذلك في الآتي:

١ ـ إسلام وفدهم حين وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة، وثناء رسول الله ﷺ سيِّدهم «زيد الخير» [٢].

٢ ـ ثَباتُ «قبيلة طيئ» على إسلامهم حين الردَّة، ولـ«عديّ بن حاتم» في ذلك فضل يُذكر فيُشكر بعد شكر الله تعالى.

٣ ـ قِتالُهم لأهل الردّة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخالد بن الوليد رضي الله عنه.

٤ ـ انتفاع النَّاس بكثير من أعلام قبيلة طيئ الذين خدموا الإسلام

---

(١) «الرحيق المختوم»: (ص/ ٣٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٥).

ورفعوا راية التوحيد وذادوا عن حمِي العقيدة بكل ما أُوتوا من قوة. وسيأتي تفصيل لهذا إن شاء الله فيما يأتي من صفحات.

٥ ـ مناصرتهم لـ«عليّ بن أبي طالب» ـ رضي الله عنه ـ في حوادث (سنة ٣٦هـ)؛ فعندما نزل عليٌ بالربذة أتته جماعةٌ من طيئ، فقيل لـ«عليّ»: جماعة من طيئ، قد أتتك، منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يُريُد التسليم عليك. قال: جزى الله كلاً خيراً، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، ثم دخلوا عليهم، فقال عليٌ: ما شهدتمونا به؟ قالوا: شهدناك بكل ما تحب. قال: جزاكم الله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين. وحاربوا أَيضاً مع عليّ ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ؛ (سنة ٣٧هـ) في وقعة (صفين)[1].

٦ ـ مشاركتهم «المثنى به حارثة الشيباني» (ت١٤هـ) في غاراته على سواد العراق في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين[2].

❊ ❊ ❊

ويرى كثير من المؤرِّخين والباحثين أنَّ منازل قبيلة «طيئ» كانت باليمن، فخرجوا منه على أثر خروج الأزد منه، ونزلوا سميراء، وفيْد،

---

(١) «تاريخ الطبري»: (٥/ ٨٠)، و«معجم قبائل العرب لكحّالة»: (٢/ ٦٩١).

(٢) «تاريخ الطبري»: (٥/ ٧٠).

في جوءا بني أسد، ثم غلبوهم على «أجأ وسلمى»، وهما جبلان من بلادهم، فاستقروا بهما، ثم ورثت من بلاد أسد بلادهم، فيما وراء الكرخ، من أرض غفر، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة، والكوفة، واليمامة، وورثوا غطفان ببطن مما يلي وادي القرى. وبعبارة أخرى فقد ملأوا السَّهل والجبل حجازاً وشاماً وعِراقاً، ثم اضطرت إلى الجلاء عن جنوبي فلسطين، فهبطت مِصر، ونزلت مديرية «البحريَّة» مع بني قرة الجذاميِّين(١). ومن منازل «طيئ»: القريّات، ودومة الجندل، وسكاكة، والقادرة، وظريب، ومحضر، وتيماء، وحائل.

ويمكن القول إنَّ أغلب تلك المناطق والأماكن كانت تحتضن النَّصرانية وقتاً من الزمن، شأُنها شأن الدِّيانات المختلفة التي تحتل بيئات كثيرة عند البعض وتفقدها عند البعض. فالإسلام مثلاً ظهر في مكة يوم الإثنين ٢١ رمضان ٦١٠م(٢)، وكانت مكَّةُ تحتضن عُبَّاد الأوثان والأصنام كما تحتضنُ الآلهة التي تُعبد من دون الله، ولا يعني ذلك ـ قطعاً ـ أنَّ مكة خلت من المؤمنين! بل كانت فيها فِئات كثيرة من الموحِّدين الحنفاء حتى أذن الله لرسوله لله بالهجرة إلى المدينة النبوية، ولم يمنع المسلمين من أن يتخذوا مكة قِبلة لهم مع ما كان بها من الأوثان والأصنام التي كانت تُعبد من دون الله!!

---

(١) «معجم قبائل العرب لكحَّالة»: (٢/ ٦٩٠).

(٢) «الرحيق المختوم»: (ص/ ٥٦).

وكذلك النَّصرانية التي عرفها العربُ عن طريق احتلال الحبشة والرومان، وكان أوَّلُ احتلالٍ للحبشة لليمن (سنة ٣٤٠م) واستمر إلى (سنة ٣٧٨م)، وبرز رجل اسمه «فيميون» إلى نجران، ودعاهم إلى النَّصرانية، وأظهر لهم بعض كراماته؛ فصَّدقوه وتنصَّروا من أجله!!

وممن اعتنق النَّصرانية من قبائل العرب: الغساسنة، وقبائل تغلب وطيئ، وبعضُ ملوك الحيرة، وذلك بسبب مجاورة الرومان. لكن لم يقل أحدٌ قطّ إنَّ طيئ كلها أو جُلُّها نصارى، أو إنَّ تغلب كلها أو جُلّها نصارى، أو إنَّ الغساسنة كلها أوجلها نصارى!![1].

وليعلم «لويس شيخو» النَّصراني الصليبي أنَّ النصرانية ـ التي يزعم شيوعها في قبيلة «طيئ» ـ أضحت عند مجيء الإسلام عسرة الفهم، رديئة الطقوس، ينفر منها أهلها وذووها فضلاً عمَّن هو قاصد لاعتناقها من غير أهلها؛ لأنَّها أوجدت خلطاً عجيباً بين الله تعالى وبين الإنسان فخالفت بذلك فطرة الله، وناقضت العقل الصحيح، وعارضت نصوص الشرائع السماوية الصحيحة كلها التي أفادت بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١][2]، ثم إنَّ في قوله: «أثبتنا شيوع النَّصرانية في قبيلة طيئ وثبات قِسم كبير من بطونها على نصرانيتهم حتى بعد الإسلام بزمن طويل» من المغالطات

---

(١) «الرحيق المختوم»: (ص/ ١١).
(٢) انظر للتوسُّع: «النصرانية من التوحيد إلى التثليث»: (ص/ ١٦٣ ـ ١٨٨).

والمخالفات ما ينبغي كشفه والتنبيه عليه: فأقول:

أولاً: أنَّ قوله «شيوع» خطأ لا يُوافق عليه، فليس كُل ما شاع كان محلَّ إيمان وثقة واعتناق من الناس، لأن (شاع) معناها: انتشر وذاع وظهر. وخبر شائع: اتَّصل بكل أحدٍ فاستوى عِلمُ النَّاس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض[1]. والواقع يخالف ما أورده «شيخو» فلم تكن النَّصرانية ذائعة في «طيئ» كلها، ولم تظهر على غيرها من الأديان وأهمُّها: الإسلام دين الله الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، والدليل على ما نقول: أنَّ طيئ أسلمت كلها إلاّ من ندر، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وذلك أمر لا يجحده إلاّ مكابر أو جاهل!

ولو كان الحق هدفاً لـ «شيخو» لقال: أثبتنا تنصُّر كثير من أبناء قبيلة طيئ... الخ، فإن تنصُّر كثير من الطائيين: أمرٌ صحيح دوَّنه التاريخ بأمانة ونزاهة، فلماذا يُزيِّف «شيخو» الحقيقة، فيُصرِّح بنصرانية بعض قبيلة «طيئ» ويكتم إسلامهم وإيمانهم؟!!

ثانياً: يُفهم من عبارته الآنفة أنَّ (طيئ) لم تَعرِف من الأديان سوى النَّصرانية، وهذا مغالطة ومكابرة من «شيخو»، وسبق أنْ أوردنا فيما مضى أنَّ قبيلة طيئ قبل إسلامها عبدت الأصنام والأوثان، فعلام

---

(١) «لسان العرب»: (٨/ ١٩١).

يطوي «شيخو» الحقيقة ويحجُبها؟! . ولقد أحسن القائل :

لِسانُ من يَعقِلُ في قلبه   وقلْب من يجهلُ في فيهِ[1]

(ب) **هل تمسَّك نصارى (طيئ) بنصرانيَّتهم بعد انتشار الإسلام؟**

في عبارة «شيخو» الآنفة ما مفاده أنَّ (طيئ) تمسَّكوا بنصرانيتهم بعد ظهور الإسلام وذيوعه في أصقاع المعمورة!

وحتى تظهر الحقيقة جليَّة أسوق إلى القارئ أدلةً مُوثَّقة، تنفي تمسُّك (طيئ) بنصرانِّيتهم بعد ظهور الإسلام، وتدفع مطاعن «شيخو» الصليبي في إسلام (طيئ) التي هي في حقيقتها طعنٌ في عقيدة أبي تمَّام، فإلى الأدلة :

الدليل الأوَّل: حُسنُ إسلامهم، وقوةُ إيمانهم، وقد ظهر ذلك جلَّياً فيما أوردناه نقلاً عن ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ (٣١٠هـ) : «. . قدم على رسول الله ﷺ وفدُ طيئ، فهم زيد الخيْل، وهو سيِّدهم، فلما انتهوا إليه كلَّموه، وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلوا فحسُن إسلامهم. . . »[2].

الدليل الثاني: صمودهم أمام جحافل المرتدين، وتثبيت «عديّ ابن حاتم» لقومه، قد مرَّ شرحه فلا حاجة لإعادته.

الدليل الثالث: قِتالُهم لأهل الرِّدة مع أبي بكر الصديق وخالد بن

---

[1] القائل : «محمد بن حسن ابن الصائغ الجذامي» المتوفي سنة (٧٢٠هـ).

[2] «تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٥).

الوليد ـ رضي الله عن الصحابة أجمعين ـ.

الدليل الرابع: مناصرتهم لـ «عليّ» ـ رضي الله عنه ـ في حوادث (سنة ٣٦هـ) و(سنة ٣٧هـ).

الدليل الخامس: مشاركتهم «المثنَّى بن حارثة الشيبانيّ» في غاراته على سواد العراق.

الدليل السادس: ما قام به «الحرّ بن النعمان» ـ رضي الله عنه ـ من بلاء عظيم في الإسلام أيام الرِّدة. والحرُّ من طيئ من بني عكوة أحد بطونهم[١].

الدليل السابع: فخرهم بالإسلام واعتزازهم بشعائره، ومنهم: «بشار بن عدي الأعرج»، ومن محاسن شعره:

تركتُ الشِّعر واستبدلْتُ منه إذا داعي مُنادي الصُّبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودَّعتُ المُدامة والنِّداما[٢]

الدليل الثامن: التماسهم الأحكام العادلة، ومن ذلك حكم «سويد بن مسعود بن جعفر» من بني دغش من طيئ، فقد حكم في الجاهلية بحكمٍ وافق السنة، فافتخروا به بعد إسلامهم وأصبح مثلاً يدور بينهم[٣].

---

(١) «قبيلة طيئ في الجاهلية والإسلام»: (ص/ ٢٤).
(٢) «الاشتقاق»: (ص/ ٣٨٨).
(٣) «قبيلة طيئ في الجاهلية والإسلام»: (ص/ ٣١)، و«المحبَّر»:

الدليل التاسع : وثوق الخلفاء بكثير منهم، فقد استخلف عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ «لأم بن عديّ» على المدائن حين رحل إلى صفين[1]. ومعاذ الله أن يستخلف عليٌّ ضعيفَ ديانة أو قليل أمانة!

الدليل العاشر : فداؤهم في الإسلام، وصدّهم كل معتدٍ عن حوزة الدِّين، ومن أشهرهم : «عديُّ بن حاتم» ـ رضي الله عنه الذي ثبت على إسلامه وشهد «القادسية» و«مهران» و«قُسَّ النَّاطف» و«النُّخيلة»[2] ومعه اللواء، ثم شهد الجمل فَفُقئت عينهُ يومئذٍ، وشهد صفين والنَّهروان، ومات زمن المختار وهو ابن عشرين ومئة سنة.

الدليل الحادي عشر : ظهور كثيرٍ من العلماء والعبَّاد والشعراء الإسلاميِّين من جذم «طيئ» ومنهم :

«محمد بن عبدالله الطائي» (٦٠٠ ـ ٢٧٢هـ) تصدَّر بحلب لإقراء العربيَّة وصرف هِمَّته إلى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وأربى على المتقدِّمين، وكان إماماً في القراءات، وعِللها، صنَّف فيها قصيدةً

(ص/ ٢٣٦).

(١) تاريخ الطبري» : (٥/ ١١٠).

(٢) «مِهران» : وادي يُقبل من الشرق متوجهاً إلى جهة المغرب. و«قُسّ النَّاطف» : موضع قريب من الكوفة، كان به وقعة بين الفرس والمسلمين سنة (١٣هـ) في خلافة عمر. و«النُّخيلة» : موضع قرب الكوفة، مرَّ به عليّ ـ رضي الله عنه ـ وله فيه أخبار. انظر : «معجم البلدان» : (٤/ ٤٣٩، و٥/ ٢٣٢، ٢٧٨).

دالِيَّة مرموزة في قدر الشاطبيَّة، وأما اللُّغة فكان إليه المُنتهى فيها، وأما النُّحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يُشقُّ لجَّهُ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يُستشهد بها على النحو واللغة فكان أمراً عجيباً، وكان الأئمة يتحيَّرون في أمره، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لأنَّه أكثرما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عَدل إلى الحديث، وإن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب، هذا مع ما هو عليه من الدِّين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النَّوافل وحُسن السَّمْت وكمال العقل. ويمكن مراجعة ترجمته في المطولات[1].

ـ «أحمد بن محمد بن هانئ الطائي»: (. . . ـ ٢٢٧هـ) الإمام الحافظ العلاَّمة، أبو بكر: صحب أحمد بن حنبل وغيره من العلماء. له كتاب في «عِلل الحديث»، و«مسائل أحمد بن حنبل» يدلُّ على عِلمه ومعرفته، وكان مشهوراً بكنيته «أبي بكر الأثرم»، وأخباره كثيرة[2].

ـ أدهم بن أبي الزعراءِ الطائي»: (. . . . ـ . . . .): شاعر إسلاميّ، كان في عهد مروان بن الحكم، له قصائد رائعة، ومن جميل شعره قوله مادحاً «ذُرِب بن حوط الطائي» لأن حُكْمهُ في الجاهلية وافق حكمه في الإسلام:

مِنَّا الذي حكم الحُكوم فوافقتْ   فـي الجـاهليـة سُنَّـة الإسـلام[3]

---

(١) «الوافي بالوفيات»: (٣/ ٣٥٩)، و«طبقات السبكي»: (٥/ ٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (١٢/ ٣٢٦).

(٣) «الاشتقـاق»: (ص/ ٣٨٩)، و«قبيلـة طيـئ فـي الجـاهليـة والإسـلام»

ـ «بُجَيُر بن بجرة الطائي»: (. . . . ـ . . .): صحابي جليل، حدَّث عن نفسه فقال: «كنتُ في الجيش الذي بعثه رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد حين بعثه إلى أُكيدر دومة الجندل، فقال رسول الله ﷺ إنَّك تجده يصيدُ البقر في ليلة مقمرة، قال: فوافقناه، وقد خرج كما نَعَتَهُ رسول الله ﷺ فأخذناه وقتلنا أخاه وكان قد حاربَنا، فلما أتينا النبي ﷺ أنشدتُه:

تبارك سائق البقرات إنِّي رأيتُ الله يهدي كُلَّ هاد
فمن يكُ عائداً عن ذي تبوكٍ فإنَّا قد أُمرنا بالجهاد

فقال النبي ﷺ: «**لا يفضض الله فاك**»، فأتتْ عليه تسعون سنة وما تحرَّكت له سِنّ ولا ضرس[1].

ومن فضائل بجير مشاركته في قتال أهل الرِّدة في خلافة أبي بكر الصديق، فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

«إياس بن مالك بن عبدالله الطائي»: (. . . . ـ . . .): شاعر إسلامي تابعي، له قصائد في وصف الخوارج وذمّهم وذكر وقائعهم، ومنها قصيدتهم الرائعة التي مطلعها:

سمونا إلى جيش الحروري بعدما تَنَاذَرَهُ أعرابُهم والمُهاجر[2].

«أوس بن حارثة الطائي: (. . . . ـ . . .): رئيس وسيِّد نبيل، عالي

(ص/ ٣١، ١٢٩).
«أسد الغابة»: (١/ ١٩٦)، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٧٩.
«قبيلة طيئ في الجاهلية والإسلام»: (ص/ ١٤٤).

الهِمَّة، له خبر طويل مع «النُّعمان بن المنذر» (نحو ١٥ ق. هـ) في يوم نعيمه، حين سأل النُّعمان وجوه العرب عن رأيهم في حُلَّة كانت عليه، وفي خبره فوائد يَحسُن الوقوفُ عليها[١].

ـ «محمد بن محمد بن علي الطائي»: (٤٧٥ ـ ٥٥٥هـ) واعظ محدِّث، قال أبو سعدٍ السَّمعاني: كان يرجع إلى نصيبٍ من العلوم، فقه وحديث وأدب ووعظ، حضرتُ وعظه بهمذان فاستحسنْتهُ.

أثنى عليه الحافظ الذهبيُّ قائلاً: «الشيخ الإمام الصالح... صاحب الأربعين المشهورة»[٢].

ـ «عمر بن سعيد بن أحمد الطائي»: (.... ـ ....): مُحدِّث، عابد. قال ابن حبَّان: كان قد صام النَّهار وقام الليل ثمانين سنةً، غازياً مُرابطاً، رحمة الله عليه، وصفه الحافظ الذهبي بـ: «الإمام» و«القدوة»[٣].

ـ «زيد بن أخزم الطائي»: (... ـ ٢٥٧هـ): أبو طالب، حافظ مُجوَّد، كان ممَّن قتله الزِّنج والأوباش الواثبون على البصرة مع الخبيث صاحب الزِّنج، ويرى ابن الجوزي أنَّ الزِّنج ذبحوه ذبحاً ـ رحمه الله تعالى ـ وكان ثِقةً من رواة الحديث[٤].

---

(١) «المصدر السابق»: (ص/ ١٣٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء»: (٢٠/ ٣٦٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء»: (١٤/ ٢٩٠).
(٤) «المصدر السابق»: (١٢/ ٢٦٠) و«المنتظم لابن الجوزي»: (١٢/ ١٣٠)

ـ «محمد بن عوف بن سفيان الطائي»: (. . . ـ ٢٧٢هـ): إمام، حافظ، مجوِّد، حافظ، متبحِّر. حدَّث عن نفسه فقال: كُنتُ ألعبُ في الكنيسة بالكرة وأنا حدث، فدخلتْ الكُرةُ، فوقعت قُرب «المعافى بن عمران الحمصي». فدخلتُ لأخذها، فقال: ابنُ من أنت؟ قلت: ابن عوف بن سفيان. قال: إنَّ أباك كان من إخواننا، فكان ممن يكتبُ معنا الحديث والعِلم، والذي كان يُشْبِهك أن تتبع ما كان عليه والدك. فصرتُ إلى أُمي، فأخبرتُها، فقالت: صدق، هو صديق لأبيك، فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم جئتُ إلى المعافى، ومعي محبرة وورق. فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عباس، عن عبدربِّه بن سليمان، قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي اطلبوا العِلم صغاراً، تعملوا به كباراً، فإن لكل حاصدٍ ما زرع! اهـ[1].

***

قال لويس شيخو:

«**رابعاً**: وفي مزاولته في حداثته الحِياكة والسِّقاية ما يدلُّ على خُموله بسبب دينه»[2]!

قلت: هذه الشِّنشنة لا تخرج عن أحد احتمالات ثلاثة:

الأول: أنَّ الحياكة والسِّقاية من مهن النَّصارى فحسب.

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١٢/ ٦١٣ـ٦١٦).

(٢) «شعراء النصرانية بعد الإسلام»: (ص/ ٢٥٨).

الثاني: أنَّ الإسلام لا يُشرِّف المهن الوضعية بل يحتقرُها!

الثالث: أنَّ النَّصارى يُفضِّلون المهن الرديئة التي لا ترفع الذِّكر.

❋ ❋ ❋

وسوف نعلِّق باقتضاب على كل واحدٍ من هذه الاحتمالات الثلاثة:

الأول: أنَّ الحياكة والسِّقاية من مِهن النَّصارى فحسب:

إنْ أراد «شيخو» هذا الإدِّعاء فهو كاذب فيه بلا ريب، فلم يقل أحدٌ قط إنَّ الحياكة (صناعة النسيج) والسِّقاية (حرفة حمل الماء إلى المنازل) من المِهن الخاصَّة والقاصرة على النَّصارى!، إذ الأصلُ في الحِرف والصنائع الاشتراك والعموم إلا ما دلَّ الدليل على تحريمه والنَّهي عنه كحِرَف التنجيم والعِرافة ونحوهما.

وقد كانت الشعوبُ قديماً ـ ولا زالت ـ تُمارس الصناعات الشعبيَّة كالخياطة، والسِّقافة (سقف المنازل بالقش الطويل وجريد النَّخل وحِزم سيقان القمح)، والسِّقاية، والحدادة، وغيرها من الصنائع المختلفة التي لا غنى لمجتمعٍ عنها.

وقد كان العربُ في الجاهلية ممَّن عبدالأوثان؛ يسقون حُجَّاج بيت الله الحرام في مكَّة ويرووِنهم من الآبار، ويتنافسون على ذلك بالمزاود والقِرب ليصبُّوها في فناء الكعبة في حياض خاصة من أدم. وبعد الإسلام ظل كثيرٌ منهم مُتمسِّكاً بهذه المهنة، وفي هذا المعنى نزل

قوله تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩].

وقد ذكر ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في تاريخه الموسوم بـ «تاريخ الأمم والملوك»: أَنَّ «إدريس عليه السلام» هو أوَّلُ من خطّ بعد آدم، وجاهد في سبيل الله، وقطّع الثياب وخاطها... اهـ[1].

ولابن خلدون ـ رحمه الله تعالى ـ كلام متين في سِّر مهنة الحياكة والخياطة، نجتزئُ منه قوله: «وهاتان الصَّنعتان ضروريتان في العمران، لما يُحتاج إليه البشر من الرَّفه، فالأُولى لنسيج الغزل من الصوف والكتّان والقطن إسداءً في الطول وإلحاماً في العرض.. والثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد. وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما أنَّ الدِّفء ضروريٌّ للبشر في العمران المعتدل، وأما المنحرف إلى الحرّ فلا يحتاج أهله إلى دفء»[2].

وسيمرُّ بنا بعد قليل أنَّ الحياكة والسِّقاية من الحِرف الأصلية في تاريخ الإسلام والمسلمين، إذا هُما من مصادر التكسُّب عند المسلمين وغيرهم.

الثاني: أنَّ الإسلام لا يُشرِّف المِهن الوضيعة بل يحتقرها!:

---

(١) «تاريخ الطبري»: (١/ ١٧٠).

(٢) «مقدمة ابن خلدون»: (ص/ ٣٨١ـ٣٨٢).

لا غرو أنَّ هذه جناية خطيرة يجنيها «شيخو» على الإسلام والمسلمين وكلامه السَّالف الذي سقناه يحتمل هذا المعنى ويُعَزِّزه. فيا لله العجب!

صحيح أنَّ بعض العرب كانوا يحتقرون بعض الحِرف والصناعات تبعاً لأعراف بعضهم وعاداتهم، فالحِدادة مثلاً كانت مُحتقرة عند الكثير منهم، وكان صاحبها يُسمَّى «قيناً» أي (العبد الرقيق)!، وبعضُ بادية العرب كانوا يحتقرون الزراعة ويأنفون منها، وكذلك «التجارة» كانت ممتهنة إلى حدٍ ما عند بعضهم[1]. ولكن هذه الأعراف والعادات بادت بعد مجيء الإسلام ولم تعُد أمراً موجوداً في واقع الناس. والأدلة على اهتمام الإسلام بالدعوة إلى العمل والتكسُّب كثيرة ومعلومة:

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكُلُ من عمل يده**»[2].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لأن يحتطب أحدكم حِزمة على ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحداً، فيعطيه أو يمنعه**»[3].

---

(١) «الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ»: (ص/ ٤٢).

(٢) «صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب «كسْبُ الرَّجل وعمله بيده» - حديث ٢٠٧٢».

(٣) «صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب «كسب الرجل وعمله بيده» - حديث ٢٠٧٤».

وفي الحديث: «كان زكريَّا نجَّاراً»[1].

وقد روى ابن عبدالبر في «الإستيعاب» أنَّ رسول الله ﷺ دفع ابنه «إبراهيم عليه السلام» إلى زوجة (أبي سيف) وهو قيْن حدَّاد في المدينة لكي تُرضعه، فكان الرسول ﷺ يأتي إلى منزل أبي سيف الحدَّاد وهو ينفخ من كيره وقد امتلأ البيتُ بالدُّخان[2].

«والرسول بهذا العمل يُريد أن يرفع من نظر الناس إلى المحترفين الصُّنَّاع حيث أسند إلى زوجة أحدهم إرضاع ولده إبراهيم في الوقت الذي كان الناس يتخيرَّون لأولادهم المرضعات من القبائل الشريفة في البوادي»[3].

وقد كان من الصحابة جُملة من الحدَّادين الذين تكسَّبوا من هذا العمل ولم يأنفوه، ومن أشهرهم: «خبَّاب بن الأرتّ» و«أبي سيف» و«مرزوق الصّيقل» الذي صقل سيف رسول الله ﷺ «ذا الفقار»، و«الأزرق بن عقبة الثقفيّ» ـ رضي الله عنه أجمعين ـ.

واشتغل المسلمون بدواً وحضراً بالزراعة، فقد أقطع الرسول ﷺ «الزبير بن العوام» أرضاً بالمدينة استثمرها في الزراعة في حياة الرسول. كما أقطع «عليَّ بن أبي طالب» عيوناً بينبع، اشتهرت فيما بعد

---

1) «صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب «من فضائل زكريا والخضر عليها السلام».
2) «الاستبعاب لابن عبدالبر»: (٤/ ٩٨).
3) «الحرف والصناعات في الحجاز»: (ص/ ٤٤).

بكثرة إنتاجها، وعمل فيها عليٌّ بنفسه[١].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**»[٢].

أمَّا الخياطة التي يُدندن حولها «شيخو» فقد بوَّب لها البخاريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه باباً باسم (ذكر الخيَّاط) وروى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعامٍ صنعه... فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام».

قال ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «فيه دلالة على أنَّ الخياطة لا تُنافي المروءة»[٣]!.

وكذلك السِّقاية لم تكن مهنة مُبْتَذلة أو وضيعة، فما دام المرءُ يكسبُ بكدِّه كسباً حلالاً؛ فعمله إذن شريف وصنعتُهُ كريمة!. ومن أشهر السَّقائين في زمن الرسول ﷺ: «أبو عقيل» صاحب الصَّاع ـ رضي الله عنه ـ ففي حديث أبي قتادة في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٦]، قال: «جاء رجل من الأنصار يقال له الحبحاب أبو عقيل فقال: يا نبي الله بِتُّ أجر الجرير على صاعين من تمر، فأما صاعٌ فأمسكتُه لأهلي، وأما صاعٌ فهو

---

(١) «التراتيب الإدارية»: (٢/ ٥١)، و«الحرف والصناعات في الحجاز» (ص/ ٩٤، ٢١٧).

(٢) «أخرجه البخاري ـ كتاب المزارعة ـ «باب: من أحيا أرضاً مواتاً» ـ».

(٣) «فتح الباري»: (١/ ١١٤٠).

هو ذا»[1].

والخلاصة مما سُقْناه آنفاً أنَّ الإسلام كرَّم المسلم الذي يعمل بيديه عملاً شريفاً بل وأثابه وعظَّم مكانته، وليس هذا موضع بسط ذلك.

* * *

الثالث: أنَّ النَّصارى يُفضِّلون المهن الرديئة التي لا ترفع الذِّكر: وهذا الاحتمال عندي ضعيف، وإنما أوردته موازنة للاحتمالين الآخرين. وقد يقع من بعض الناس ميلٌ فطري إلى حرفة مُبْتَذلة عند الآخرين، تستهويهم وتجذبهم بحبهم لها وشغفهم وتعلقهم بها.

* * *

وفحوى الكلام أن زعم شيخو: «وفي مزاولته في حداثته الحياكة السقاية مما يدلُّ على خموله بسبب دينه» عارٍ من الصحة، خالٍ من الدليل، فارغ من البرهان واليقين، فليس في لفظه حُجَّة أو أثارة من علم يبين من خلاله أن أبا تمام كان نصرانياً، فالحمدلله على الإسلام السُّنَّة.

---

(1) أخرجه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين...﴾».

قال لويس شيخو:

«**خامساً**: ثم ليس لنا كلام صريح لأحد رُواة ترجمته ما يدلُّ على جُحوده دينه النَّصراني»[1].

قلت: هذه فذلكة خِتام جريرة «لويس شيخو» الصليبي النصراني على الشاعر المسلم «حبيب بن أوس الطائي» - رحمه الله تعالى -. إذ حين عجز عن إقامة بُرهانٍ صحيح على دعواه الجائرة طفق يهذي ويهرِف بما لا يعرف ليستر كيده ومكابرته وهوانه في كُفْرِه بتلفيق الجُمْلَ وتصفيف العبارات بما لا طائل من ورائه إلاّ تسويد الصفحات وإجهاد القارئ!

ولله درّ القائل:

يا ويح أهل العلم كيف تأخَّروا والسَّبْقُ كلُّ السَّبْق للجُهَّالِ[2]!

* * *

وقول «شيخو» السابق يُمكن نَقْضُه بجملتين:

الأولى: أنَّ رواة ترجمة أبي تمام لم يُقَرِّروا دخوله في النصرانية أصلاً، فكيف يزعم «شيخو» أنَّ أبا تمام لم يجحد النصرانية وهو لم يعتقدها أصلاً؟!

---

(١) «شعراء النصرانية بعد الإسلام»: (ص/ ٢٥٨).

(٢) البيت لـ«الزمخشري: محمود بن عمر» (٥٣٨هـ) من قصيدة يشكو فيها فقره وسوء حاله.

الثانية: أنَّ رواة ترجمة أبي تمام ليسوا كلهم عدولاً، ففيهم الحاسد والحاقِد، وفيهم المتحامل عليه، وفيهم المدفوع إلى الدسّ عليه والتشهير له، وهذا باب لا يكاد ينقضي وصفه. ومن ذلك قول الشاعر دعبل لما سُئِل عن شعر أبي تمام فقال: «ثُلُثُ شعره سرقة، وثُلثه غَثّ، وثُلُثُه صالح»![1].

وأُضيف إلى ما سبق: لو أن أبا تمام لم يجحد النصرانية ـ على حدّ زعم شيخو ـ وبقي يمارسها طول عمره لما استطاع النفوذ عند خليفتي بني العباس (المأمون) و(المعتصم) اللّذين عرفهما التاريخ بقوة بطشهما وصلابة بأسهما على المارقين والمنافقين. كيف يُجيز المعتصم العباسي لأبي تمام أن يلقي عليه قصيدته الشهيرة:

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حدّه الحدُّ بين الجدِّ واللعب

ومنها:

بقيت جَدّ بني الإسلام في صَعَدٍ   والمشركين ودار الشِّركِ في صَبَبِ[2]

كيف يُجيزُ المعتصم هذا الشّعر الذي فيه فخر بالإسلام ونصره، وشماته بالشرك وأهله، وقائله بقية من بقايا النصارى؟!

لا يُعقل أبداً أن يحدث مثل هذا التناقض أمام خليفة مسلم سعى لتقويض أركان الشرك والزندقة ومحاربة المارقين والمنافقين!

---

(1) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٢٤٤).
(2) «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي»: (١/ ٣٢ وما بعدها).

ومن البراهين الساطعة التي يُبصرها المكفوفون ويُحْجَب عنها عُميان البصائر ما أورده شيخو بقلمه عقب كلامه السَّالف التالف قائلاً:

«هذا ما يحملنا على القول بنصرانية أبي تمام، على أن في ديوانه عدة أبيات تشعر بأنه يدين بالإسلام، فحيناً يحلف بالبيت الحرام ويقول إنه حج إليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الإسلام كأنهما نبيه ودينه، وإذا ذكر الروم نبذهم بالشرك والكفر، ويُعظم القرآن. وهذا كله لممَّا يُثْبِتُ إسلامه»!!![1].

ما هذا التناقض العجيب؟!

أرأيت أيُّها القارئ كيف يلُوك «شيخو» مزاعمه ضد أبي تمام - رحمه الله وعفا عنه - ويلوي رؤوس الكلام ليّاً قويّاً، ليطمس الحقائق ويزوِّر الأراجيف، من أجل الانتصار لمعتقده الفاسد، ومذهبه المرذول، ودينه المحرَّف؟!

ولقد أحسن القائل:

لي حيلةٌ فيمن ينمُّ	وليس في الكذَّاب حيلهْ
من كان يخلُق ما يقولُ	فحيلتي فيه قليلهْ

وفي الفصل الخامس من هذه الرسالة مزيد بسط وبيان لكلام «شيخو» المتقدِّم، عند الحديث عن مناقشة عقيدة أبي تمام عند الأدباء والمؤرخين، والله ولي التوفيق.

---

(١) «شعراء النصرانية بعد الإسلام»: (ص٢٥٨).

الفصل الخامس
عقيدة أبي تمام عند الأُدباء والمؤرِّخين

في هذا الفصل نتلمَّس جوانب خفيَّةً من مُعتقد أبي تمام ـ رحمه الله وعفا عنه ـ أبرزها من مكامِنها بعض الأدباء والمؤرخين، الذين يستهويهم الحديث عن كل غريب وشاذّ، إمَّا لأغراض نفسية، أو لمصالح شخصية، وأكثرها لا يعدو، أن يكون انتصاراً للنفس وإيقاعاً بالآخرين، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

ولستُ هُنا في معرض الدفاع عن أبي تمام، فسيرى المُنْصِفُ في الصفحاتِ القادمة كيف أتخلّى عن أبي تمام وأدينه ببعض ما اتُّهم به، لا تخلياً عنه ولا خوفاً من أعدائه، وإنما إظهاراً للحق، ودفاعاً عن حمى الدين، وامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [المائدة: ٨].

وفيما يلي عرضٌ مُجْملٌ لعقيدة أبي تمام عند الأدباء والمؤرخين:

أولاً: كُفْرهُ ورقة دينه.

ثانياً: مُجونُه وقِلَّة دينه.

ثالثاً: معرفته لعادات النَّصارى مما يُوحي بنصرانيته.

رابعاً: إطراؤه للشيعة العلوية مما يوحي بتشيعه.

وسنذكر أدلة المتهمين دليلاً دليلاً، ثم نردُّ عليها تباعاً، ومن الله نستمد العون والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أولاً: كُفْرُهُ ورقة دينه:

اتُّهم أبو تمام بالكفر - أي جُحود الله تعالى وانكار وحدانية وشريعته والتكذيب بأنبيائه، أو إحداها على أقلِّ تقدير، وهو مع ذلك يُلْمز برقة الدِّين أي فسادُهُ وضعفه. واستدل المتهمون لأبي تمام بالكفر ورقة الدين بثلاثة أدلة:

الأول: ما رواه أبو «بكر الصولي» (٣٣٥هـ) في (أخبار أبي تمام)، و«ابن المعتز» (٢٩٦هـ) في (طبقات الشعراء)، الأول عن «أحمد بن طيفور» (٢٨٠هـ): وقد حدثني بها عن جماعة:

«دخلتُ عليه [أي: على أبي تمام] وهو يعمل شعراً وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم، فقلت ما هذا؟ قال: اللاَّتُ والعزَّى، وأنا أعبدهما من دون الله مُنْذُ ثلاثون سنة» اهـ.

وفي (طبقات الشعراء) قال «ابن المعتز»: حدثني أبو الغصن محمد بن قدامة، قال: «دخلتُ على حبيب بن أوس بقزوين، وحوالية من الدفاتر ما غرق فيه، فما يكاد يرى، فوقفتُ ساعةً لا يَعلمُ بمكاني مما هو فيه، ثم رفع رأسه، فنظر إليَّ وسلَّم وقلتُ له:

يا أبا تمام إنَّك لتنظر في الكتب كثيراً، وتُدْمِنُ الدَّرس، فما أصبرك عليها، فقال: والله مالي إلفٌ غيرها ولا لذَّة سواها، وإني

الخليق أن أتفقَّدها إن أُحسن ، وإذا حِزمتين واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله ، وهو مُنْهمِكٌ ينظر فيهما ويُميِّزهما من دون سائر الكتب ، فقلتُ : فما هذا الذي أرى من عنايتك به أكثر من غيره؟ قال : أما التي عن يميني فاللّات ، وأما التي عن يساري فالعُزّى ، أعبدهما منذ عشرين سنة ، فإذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد (صريع الغواني) ، وعن يساره شعر أبي نواس» اهـ[1] .

الثاني : قول الشاعر :

دع الهجاء فإنَّ الله حرَّمه ... واقصد إلى الحق إن الحق مُتَّسعُ

اذكر حبيب بن أوشونا ودِعوتَه ... فإن طياً إذا سُبُّوا به جَزعوا

لا يقبلوك أبا النقصان يحتقبوا ... عاراً وتخفيض منهم كلَّ ما دفعوا

رباعُ قومِك ناقوسٌ وشمعْلةٌ ... فاذكر مرابيعهم فيها إذا ارتبعوا[2]

الثالث : قول الشاعر :

أنت عندي عربيُّ الـ ... أصل ما فيك كلام

عربيٌّ عربيٌّ ... أجأيٌّ ما تُرام

أنا ما ذنبي إن خا ... لفني فيك الأنامُ

انت منك سجايا ... نبطيّاتٌ لِئامُ

ثم قالوا جاسميٌّ ... من بني الأنباطِ خامُ

---

(١) «أخبار أبي تمام» : (ص/ ١٧٣) ، و«طبقات الشعراء» : (ص/ ٢٨٣) .

(٢) «أخبار أبي تمام» : (ص/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

كـذبــوا مــا أنــت إلاَّ عــربــيٌّ مــا تُضَــام

أنــت عنــدي عــرّبــيٌّ عــربــيٌّ والسَّــلام[1]

❊ ❊ ❊

قلت: والجواب على أدلة المُتَهمين يمكن تلخيصه في الآتي:

(أ) الردّ على الدليل الأول:

١ ـ الإسناد:

سند الروايتين اللتين استدلَّ بها المتهمون لأبي تمام بالكفر ورقة الدِّين ـ سندهما جاء في طريقين: الأول: من طريق «أحمد بن طيفور» المكنَّى بأبي طاهر: مُؤَرِّخ أصله من «مرو الرَّوذ»، وهو بغدادي المولد والوفاة، كان كاتباً بليغاً، لكنَّه لحَّانة مُصحِّف، وكان يُتَّهم بالبلادة!!، مولده سنة (٢٠٤) وفاته سنة (٢٨٠هـ)[2].

قلت: وسنده فاسد إذ لم يُصرِّح أبو طاهر باسم أو لقب أو كُنْيَة من حدَّثه، فيكون تدليساً مقطوعاً في الرواية، وعليه فالاستدلال بالرواية ساقط لهذا الاعتبار.

والثاني: من طريق «محمد بن قدامة» (أبو الغصن): مجهول، لا

(١) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٢) «تاريخ بغداد»: (٤/ ٢١١)، و«معجم الأدباء»: (١/ ١٥٢). و«الفهرست»: (ص/ ١٤٦).

يعرف. والمشهور بهذه الكنية: «دجين بن ثابت اليربوعي النضري»

قال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أنَّ إسناد الرواية بطريقها مقدوح فيه، فلا يُحْتَجُّ بها.

٢ ـ المتن:

إنْ سلَّمنا جدلاً بصحة الرواية سنداً، فإنَّ في متنها ما يُشكِّكُ في صحتها، وإليك البيان:

ا ـ في رواية «أحمد بن طيفور» قال أبو تمام ـ فيما نُسِب إليه ـ: «وأنا أعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة»، بينما في رواية «محمد بن قدامة»: «أعبدهما منذ عشرين سنة»!!

(ب) في رواية «محمد بن قدامة»: قوله: «دخلتُ على حبيب بن أوس قزوين»!!، ولم يذكر أحد من مترجمي أبي تمام ـ قط ـ دخوله لبلدة (قزوين)!. وسبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن ترجمته، فعُد إليه إنْ شئت.

---

١) (لطيفة): قال ابن عديّ في كتابه «الكامِل»: (٣/ ١٠٥): «قد رُوي لنا عن يحيى بن معين أنَّه قال: الدُّجين هو (جُحا)، وهذا لم يصحّ عنه. وقد روى عن الدجين ابن المبارك، ووكيع، وعبدالصمد، وهؤلاء أعلم بالله من أن يرووا عن (جحا)..»! وانظر: «لسان الميزان»: (٢/ ٥٢٤ـ٥٢٥).

٣ ـ المعنى:

يدور معنىً كلام أبي تمام حول شدّة تعلقُّه بالشِّعر، وعنايته بشعر (صريح الغَواني) «مسلم الوليد»[١]، وشعر «أبي نواس»[٢]، ولا يُمكن تفسير معنى كلامه بغير هذا التفسير أو نحوه. ولأبي بكر الصُّولي تعليق رائع على معنى كلام أبي تمام أسوقه بطوله لفائدته:

«وهذا إذا كان حقاً فهو قبيح الظاهر، رديءُ اللفظ والمعنى، لأنه كلام ماجن مشعوف بالشعر. والمعنى أنهما قدشغلاني عن عبادة الله عزوجل، وإلا فمن المحال أن يكون عبد اثنين لعلّه عند نفسه أكبر منهما، أو مثلهما، أو قريب منهما على أنه ما ينبغي لجادّ ولا مازح أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه، ما يُغضب الله عزوجل، ويتاب من مثله؛ فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل، شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به، حتى يلعنوه في المجالس؟ ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر، واضح الأمر، ممن قتله الخلفاء ـ صلوات الله عليهم ـ بإقرار وبينة، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم ولا ذهبت جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم، وشقوا بكفرهم»[٣]

وقال أيضاً: «وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كفراً ينقص من

---

(١) توفي سنة (٢٠٨هـ). انظر أخباره في: «تاريخ بغداد»: (١٣/ ٩٦).

(٢) توفي سنة (١٩٨هـ). انظر: أخباره في: «وفيات الأعيان»: (١/ ١٣٥)

(٣) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ١٧٣).

شعر، ولا أن إيماناً يزيد فيه. وكيف يحقق هذا على مثله، حتى يسمع الناس لعنه له، من لم يشاهده ولم يسمع منه، ولا سمع قول من يوثق به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عزوجل، ورسوله عليه السلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين؛ لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعل أو قول، فيرى ذلك أو يسمع منهم، أو يقول به بيِّنه عليهم»[1].

❊ ❊ ❊

(ب) الردُّ على الدليل الثاني والثالث:

من أدلة المتهمين أيضاً قول «الوليد بن مسلم» في هجاء «أبي تمام»:

مرباعُ قومِك ناقوسٌ وشمْعَلةٌ   فاذكر مرابيعهم فيها إذا ارتبعوا.

والمعنى: إنَّ ربيع قومك أن يجتمعوا على ناقوس يضرب لهم، وشمعلة وهي قراءتهم، فاذكر ذلك ولا تنساه!!

والأبيات الأخرى من نظم «مخلد بن بكار الموصلي»[2] وهي أيضاً في هجاء «أبي تمام»، وفيها تعريض بنسب أبي تمام ودينه! ويؤخذ لك من قوله:

---

١) «المصدر السابق»: (ص/ ١٧٢).
٢) شاعر مغمور عاش في القرن الثالث الهجري، ولم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر.

ثـم قـــالـــوا جـــاسـتـمـــيٌّ مـــن بـنـــي الأنبــاط خـــام![1]

«وفي هذا الشعر اتهام واضح صريح، وطعن في أصل أبي تمام، إلا أن هذا النوع من الشعر، لا يؤخذ على محمل الجدّ؛ لأنه هجاء، ومن عادة الشعراء الهجائين أن يطعنوا في الأنساب والأحساب، ويُلْصِقوا التّهم بالمهجو بغير حق، ويغيروا الحقائق والأحداث، من أجل الحطّ من قدر المهجو، فلا غرابة إذن أن نشاهد هذا الطعن في أصل أبي تمام، لأن كثيراً من الشعراء كانوا يحسدون أبا تمام على مكانته العالية المرموقة التي وصل إليها، وكان هو لا يُجيبُ هاجياً له، لأنه كان لا يراه نظيراً ولا يشتغل به. يروى عن أبي تمام أنه قال ـ حين طلب منه أن يرد على مُخَلَّد بن بكّار الموصلي ـ: إن جوابي يرفع منه، وأَستَدِرُّ به سَبَّهُ، وإذا أمسكت عَنْهُ سَكَتَتْ شِقْشِقَتُه.

وقيل لأبي تمام: قد هجاك مُخَلَّد، فلو هجوته؟ قال: الهجاء يرفع منه قيل: أليس هو شاعر؟ قال: لو كان شاعراً ما كان من الموصل.

ويتبين لنا بعد هذا العرض أن هذا الطعن ليس له أساس من الصحة التي تقوم على إعطاء الأدلة والبراهين، وبذلك نرفض هذه الحجج التي سبقت من خلال الهجاء، فأبو تمام طائي عربي أصيل»[2].

---

(١) «أبو تمام الطائي»: (ص/ ٩).

(٢) وقد سبق الحديث عن تحقيق نسبه، وقلنا إنه من «طيئ» صليبة.

قلت: وسيأتي زيادة إيضاح لهذه النقطة في مَعرِض الحديث عن خصوم أبي تمَّام. والله الموفق للصواب.

ثانياً: مُجُونُه وقِلّة دينه:

اتُّهم أبو تمام بالمجون: وهو قِلَّة الحياء، وخَلْط الجِدّ بالهزل.

وقلة الدِّين: عدمُ الاهتمام والحرص على أداء الفرائض والواجبات الدينيَّة!

واستدلّ المتّهمون على هذا بثلاثة أدلة:

الأوّل: ما أورده «عليُّ بن الحسين المسعوديّ» (. . . . ـ ٣٤٦هـ) في تاريخه نقلاً عن «محمد بن يزيد المبرِّد» (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ) عن الحسن بن رجاء» (. . . . ـ . . . .)، الذي قال: «صار إليَّ أبو تمام وأنا الفارس، فأقام عندي مقاماً طويلاً، ونمى إليَّ من غير وجه أنَّه لا يُصلِّي، ووكَّلتُ به من يُراعيه ويتفقَّده في أوقات الصَّلاة، فوجدُت الأمر على ما اتصل إليَّ عنه فعاتبتُه على فعله ذلك، فكان جوابه أن قال: أتُراني أنشط للشخوص إليك من مدينة السَّلام، وأتجشَّم هذه الطرقات الشاقَّة، وأكسل عن ركعاتٍ لا مئونة عليَّ فيها، ولو كنتُ أعلم أن لمن صلاَّها ثواباً، أو على من تركها عقاباً، قال: فهممتُ إليه لقتله، ثم تخوَّفت أن يصرَف الأمر إلى غير جهته وهو القائل:

أحقُّ الأنامِ أن يَقْضي الدَّيـ ـن امرؤ كان للإله غَرِيماً

وهذا قولٌ مباين لهذا الفعْل»[1].

الثاني: ما أورده أبو بكر الصُّولي[2]، قال: سمعت الحسن بن الحسين بن رجاء يُحدِّث أبا سعيدٍ الحسن ابن الحسين الأزدي، أنَّ أباه رأى أبا تمام يوماً يُصلِّي صلاةً خفيفة، فقال له: أتمَّ يا أبا تمام. فلما انصرف من صلاته قال له: قِصرُ المالِ، وطولُ الأمل، ونُقصان الجِدَة، وزيادة الهمَّة، يمنع من إتمام الصلاة، لا سِّيما ونحن سفر. فكان أبي يقول: وددِتُ أنَّه يُعاني فُروضه كما يُعَاني شعره، وأنَّى مُغرمٌ ما يثقل غُرْمُهُ».

الثالث: ما أورده أبو بكر الصُّولي، قال: حدثني أبو صالح الكتاب، قال: سمعتُ أبا العنْبَس، يقول: وكان جاراً لي: راسل أبو تمام أمَّ البحتري في التزويج بها، فأجابته وقالت له: اجمع النَّاس للإملاك، فقال: الله أجلُّ من أن يُذْكر بيننا، ولكن نتماسح ونتسافح، فكان معها بلا نكاح»![3].

* * *

قُلْتُ: والجواب عن أدلة المتهمين يمكن تلخيصه في الآتي:

(أ) التعليق على الرواية الأولى والثانية:

---

(١) «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: (٤/ ٧٢).

(٢) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ١٧٢).

(٣) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٢٤٦).

١ ـ التعليق على الرواية الأولى :

جاءت هذه الرواية اعتماداً على ما أورده المسعوديُّ في تاريخه . وهذا الرجل ليس بثقة في مرويَّاته ونُقولاته ، فقد كان شيعياً مُعتزليًّا ، ومصنَّفه «مروج الذهب» يزخر بالمرويَّات الواهية والكتابات الساقطة . وقد حذَّر العلماء من كُتُبه ورواياته ، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : «وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يُحصيه إلا الله تعالى»[1] . وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : «وكُتُبه طافحةٌ بأنَّه كان شيعياً مُعْتزِلياً حتى إنّه قال في حق ابن عمر إنَّه امتنع من بيعة عليّ بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبدالملك بن مروان ، وله من ذلك أشياء كثيرة»![2] .

ويقول ابن العربي ـ رحمه الله ـ : «وأما المبتدع المحتال فالمسعوديّ ، فإنَّه يأتي مِنهُ مُتاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شكَّ فيه»[3] .

وقد تفرَّدالمسعوديُّ بهذه الرواية التي نُعلِّق عليها . مع أنَّه قال إنَّه نقلها عن «محمدبن يزيد المبرِّد» ، وليست في تاريخه بعد البحث والتتبع ! وهذه «شِنْشِنَة أعرِفُها من أخْزَم»![4] .

---

١) «منهاج السنة» : (٢/ ١٦٣) .
٢) «لسان الميزان» : (٤/ ٢٢٥) .
٣) «العواصم من القواصم» : (ص/ ٢٤٩) .
٤) مثل عربيٌّ شهير . والشِّنْشِّنة : العادة الغالبة . والأخزم : الحيَّة الذَّكر . انظر : =

والمبرد ـ كما نقل الحافظ ابنُ حجر ـ مُتَّهم بالكذب وسوء الحفظ، وله قصة مع «أبي حنيفة الدِّينَوري» (٢٨٢هـ) تُبيِّن كذبه وإفلاسه، فارجع إليها إن شئت[١]!

ونخْلُص من هذا إلى أنَّ هذه الرواية مُختلقة على أبي تمام، وهي في ميزان النَّقد ساقطة طائشة لا وزن لها ولا اعتبار، فتنبَّه!.

٢ ـ التعليق على الرواية الثانية:

هذه الرواية صحيحة وثابتة سنداً ومتناً وتوثيقاً وتخريجاً، وهي تُبيِّن حال أهل ذلك العصر عُمَوماً، فقد كثُرت المغريات وتعدَّدت وسائل التَّرف وأسباب المُتعة من الخلفاء والوزراء وبعض العلماء والقضاة. وقد روى «أبو حفص بن شاهين (٣٨٥هـ) عن حال ابن دُرْيد (٣٢١هـ)، من أكابر علماء اللُّغة: «كُنَّا ندخل عليه فنستحي مما نرى من العِيدان المعلَّقة والشراب وقد جاوز التسعين»!![٢].

ولا يعني هذا انعدام الخير وتلاشي الزُّهد والصَّلاح، فقد كانت المساجد مُحافظة على روح الإسلام، ولم ينفكّ الناسُ عن حلقات الوعظ والتعليم. ويروي في هذا المقام أنَّ المعتضد العباسيّ (٢٨٩هـ) أرسل إلى «إبراهيم بن إسحق الحربي» (٢٨٥هـ) عشرة الآف درهم مع

= «مجمع الأمثال»: (٢/ ١٥٥).

(١) «لسان الميزان»: (٥/ ٤٨٨).

(٢) «وفيات الأعيان»: (٤/ ٣٢٦).

بعض أتباعه، فردَّها، وعاد الرسول يقول له: إن المعتضد يسألُك أن
تفرقها في جيرانك، فقال له: عافاك الله هذا ما لم نشغل أنفسنا بجمعه
فلا نُشْغِلها بتفرقتهِ، قل لأمير المؤمنين: إنْ تركتنا أقمنا، وإلا تحوَّلنا
من جوارِك»[1]!

***

ب) **التعليق على الرواية الثالثة:**

هذه الرواية سُقْناها على استحياء لما فيها من بشاعة في الألفاظ،
ودناءة في المعاني والمرامي، وقد عقَّب عليها أبو بكر الصُّولي قائلاً:
«وهذا إنَّما كَذَبَهُ أبو العنْبس، واحتذى به حديثاً حدَّثه به الكُديميّ عن
الأصمعي قال: جاء أسود وسوداء إلى أبي مَهدِّية فقالا له: قد أردنا
التزويج فاخطب لنا، فقال: إن الله أجلّ من أن يُذكر بينكما، فأذهبا
اصطكَّا لعنكما الله!»[2].

***

ثالثاً: مَعرِفَتُهُ لعاداتِ النَّصارى ممَّا يُوحي بنصرانيَّته:

أُتُّهم أبو تمام بأنَّ له معرفة غريبة بعادات النَّصارى وطقوسهم مما

---

(1) «معجم الأدباء»: (١/ ٤٣).
(2) «أخبار أبي تمَّام»: (ص/ ٢٤٦).

يُولِّد الظن بنصرانيته، ولم يُصرِّح بهذهِ التُّهمة سوى «لويس شيخو النصراني الصليبي»!، وليس ببعيد أن يكون قد بنى عليها القول بنصرانية أبي تمام، كيف وقد زعم أنَّ أبا تمام مُلئَ نصرانيةً إلى مُشْاشِه!!.

وقد استدلَّ «شيخو» على تلك التُّهمة ببيت مفرد فقط! وهو قول أبي تمام:

جفا الشَّرق حتى ظنَّ من كان جاهلاً بـديـن النَّصـارى أنَّ قِبلتـه الغـرْبُ[1]

وهو من قصيدة مطلعها:

لقد أخذتْ من دار ماوَّيَة الحقْبُ أَنحلُ المغاني للبِلى هيَ أم نَهْبُ[2]

وهي في مدح «خالد بن يزيد الشَيْباني» (٢٣٠هـ) أحد الأمراء الأجواد في العصر العباسي.

والبيت السابق ذكره: «جفا الشرق...» يصف فيه أبو تمام حال «توفيل»[3] قائد الروم، يقول:

ولمـا رأى تُـوفيـل رايـاتِـك التـي إذا ما استقامت لا يُقاوِمها الصَّلب
تولَّى ولم يألُ الرَّدى في اتباعه كأن الرَّدى في قصده هائم صبُّ

---

(١) «شعراء النصرانية بعد الإسلام»: (ص/٢٥٩).
(٢) «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي»: (١/١٠٨).
(٣) «توفيل بن ميخائيل»: قائد الروم وطاغيتهم في «عموريَّة». أخباره مُتفرقة، وقدنكَّل بالمسلمين في «زبَطْره» و«ملطيه»، انظر عنه: «تاريخ الطبري» (٩/ ٥٥_٧٠).

كأن بلاد الروم عُمَّت بصيحةٍ فضمَّت حشاها أو رغا وسْطها السَّقبُ

صاغرةِ القصوي وطمَّين واقترى بلاد قرنطاووس وابلك السكبُ

بدا خائفاً يستنجدُ الكُتَبَ مُذْعناً عليكَ فلا رسلُ ثنتك ولا كُتُب

وما الأسدُ الضرغامُ يوماً بعاكسٍ صريَمَته إن أنَّ أو بصبص الكلْب

ومرُّ مُدْبراً سُطر الدبور ونفسُهُ على نفسِهِ من سوء ظنٍ بها إلبْ

جفا الشرق حتى ....[1]

❊ ❊ ❊

وأدنى النَّاسِ مَعرِفةً بلسان العرب يعلُم أنَّ استدلال «شيخو» ضربٌ من المُحال، وفنٌّ من فنون الجنون والتخليط!، وإلا لقال من قال إنَّ أبا تمام يتمذهبُ بمذهب الجهميَّة، لقوله:

جهميَّةُ الأوصافِ إلا أنَّهم قد لقَّبُوها جوهر الأشياء

ولقال غيره إنَّه شيعيّ، لقوله:

وصحَّ قولُ الجعفريَّة في الذي تنصُّ من الإلهامِ خِلْنَاك مُلْهَما

ولقال ثالث إنَّه فيلسوف، لقوله:

من له شيءٌ يُريدُ حجابه ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب

إن ولقال رابع إنَّه عالم، لقوله:

في النَّدى لك والمعروفِ من بِدعٍ إذا تُصُفِّحت اخْتيرتْ على السُّننِ[2]

---

[1] «شرح ديوان أبي تمَّام للتبريزي»: (١/ ١٠٨).

[2] «الفنُّ ومذاهِبه في الشِّعر العربيّ»: (ص/ ٢٥١ وما بعدها).

والصحيح أنَّ هذه الأبيات الأربعة تدْخل تحت ما يُسمِّيه علماءُ اللُّغة والنَّقد: «التأثُّر بالثقافة» أو «فلسفة العلوم المختلفة». فما أجمل الإنصاف وما أعظم العدل وتحرِّي الحق والصواب!

رابعاً: اطراؤه للشيعة العلويّة مما يُوحي بتشيُّعه:

اتَّهم بعضُ الأُدباء والكتبة المتأخرين أبا تمام بالتشيُّع للعلويين، فهو ـ عندهم ـ على أَقلّ تقدير يميل إلى العلويين تارة بالثناء وتارة بأحقيَّة الخلافة!!

وقد استدلَّ المُتَهِمون لأبي تمام بالتشيُّع بأربعة أدلة:

الأوَّل: قصائد منسوبة إليه يُفهم منها أنَّه كان شيعياً علويَّاً!.

الثاني: قولُ الجاحظ عنه: «إنَّه كان من رؤوس الرافضة»!.

الثالث: ولع الرافضة وشغفهم به، وترجمتُهم له في مصنَّفاتهم!.

الرابع: زيارتُهُ لـ: (ديك الجنّ)!.

***

الأول: قصائد منسوبة إليه يُفهم منها أنَّه كان شيعياً علوياً[1]:

---

(١) لقب يُطْلَق على المنحدرين من سُلاله «عليّ بن أبي طالب» ـ رضي الله عنه أو أتباعه الذين يؤمنون بأنّه وصيّ الرسول ﷺ، وأنَّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة، وأنَّ الأئمة معصومون، وهم اثنا عشر، أولهم «عليّ» وآخرهم «محمد بن الحسين العسكري». وقد كانت حلب مقراً لهم، ثم أنتشروا في

لا شك أنَّ شعر الشاعر ونظمه مرآة لمعتقده وفكره ومنهجه، إذ هو يُعبِّر عن مكنون نفسه وخلجات صدره، فيكون دليلاً قوياً على ما يريده أو يسمو إليه.

وقد عمد بعضُ الأدباء المحدثين إلى التقاط قصائد منحولة إلى أبي تمام تنطق ألفاظُها صراحة بمذهب التشيُّع للعلويين، وساقوها كدليل راسخ لا يقبل الدفع أو الريب!

وها أنا أوردها ثم أُعَقِّب عليها بما يقتضيه المقام.

(أ) القصيدة الأولى:

ربـي الله والأميـن نبيـي	صفـوة الله والـوصـي إمـامـي
ثـم سبطـا محمـد تـاليـاه	وعلـيٌّ وبـاقـر العلـم حـامـي
والتقـيُّ الـزكـي جعفـر الطيِّـبُ	مــأوى المعتـــر والمعتــام
ثـم مـوسـى ثـم الـرضـا علـم	الفضل الذي طال سائر الأعلام
والمصفـى محمـد بـن علـي	والمُعـرَّى مـن كـل سـوء وذام
والـزكـيُّ الإمـام مـع نجلـه	القائم مولى الأنام نور الظلام
وأبـرزت منـــه رأفـــة الله	بالناس لترك الظلام بدر التمام
فرع صـدق نمـا إلـى الـرتبـة	القصوى وفرع النبي لا شك نامي

الساحل الغربي من سوريا حتى الحدود التركية على شكل عشائر. وبعضُ العلويَّة يقولون بألوهية «عليّ» ـ رضي الله عنه ـ والتناسخ في الأرواح. انظر: «قاموس المذاهب والأديان»: (ص/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

فهـو مـاض علـى البـديهـة بالفيصل من رأي هبرزي همام

عالم بالأمور غارت فلم تنجم ومـاذا يكـون فـي الأنجـام

هـؤلاء الأُلـى أقـام بهـم حجتـه ذو الجـلال والإكـرام

هذه القصيدة لم يذكرها أحدٌ من الأُدباء القدماء في دواوين الأدب، ولا أحدٌ من مترجمي حياة أبي تمام المعتبرين، وأوّل من نَسبها - ظلماً وزوراً - إلى أبي تمام: «محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني» (٥٨٨هـ) أحد عُلماء الشيعة الإماميّة، وذلك في كتابه (معالِم العُلماء)[1]، وزعم أنَّ أبا تمام أحد شُعراء أهل البيت المتقين غير المجاهرين!! وزعم أيضاً أنَّ أبا تمام أشاد في القصيدة التي نسبها إليه؛ بالأئمة الاثني عشر حتى انتهى إلى الإمام المهديّ! «والظاهر أنَّه ذكر فيها ما بعد أبي جعفر الثاني وإن لم يدرك أيامهم، لكونه كان معتقداً إمامتهم بما ثبت من الآثار المروية في الاثني عشر عليهم السلام»!![2]

وغير خافٍ على أحد من المُنْصفين أنَّ هذه القصيدة منحولة إلى أبي تمام، ومُفتراة عليه من الرافضة الفجرة لا صبَّحهم الله ولا مسَّاهم

---

(١) : (ص/ ٤٥٠). وانظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات»: (٤/ ١٦٤) و«لسان الميزان»: (٥/ ٣١٠). وفي «أعيان الشيعة»: (٤/ ٣٩٤): أن «أحمد بن الحسين ابن الغضائري» [أحد غُلاه الشيعة] رأى نسخةً عتيقة كُتبت في أيَّام أبي تمام أو بعده، يذكر فيها أبو تمَّام الأئمة حتى انتهى إلى الإمام الجواد!! قلت: فلماذا خلى منها ديوانه يا معاشر الشيعة؟!

(٢) «معالم العلماء»: (ص/ ٤٥٠)، و«أبو تمام - حياته وشعره»: (ص/ ٨٩)

بالخير!

والإمام الأديب «يحيىٰ بن علي التبريزي» (٥٠٢هـ) الذي شرح شعر أبي تمام واستفاد من شروح من سبقه كـ «المعري» (٤٤٩هـ) و«المرزوقي» (٤٢١هـ)، و«محمد بن عبدالله الخطيب» (٤٢٠هـ)، و«الصُّولي» (٣٣٥هـ)، قال في خاتمة مقدمة شرحه: «وكُنْتُ قرأتُ من شعر أبي تمام سنة أربعٍ وخمسين وأربعمائة بالبصرة على الشيخ أبي القاسم الفضل بن محمد بن علي بن الفضل... وروى لنا هذا الديوان على أبي عليّ عبدالكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السُّكري... عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، عن أبي علي محمد بن العلا السجستاني، عن أبي سعيد السُّكري، عن أبي تمَّام، بعضُه قراءةً عليه، وبعضُهُ سماعاً منه، وبعضُهُ إجازةً، ولله المنَّة». اهـ[1].

فهذه القصيدة ليست لأبي تمام لسببين:

الأوَّل: أنَّها لم ترد في ديوانه المعتمد الذي شرحه التبريزي.

الثاني: أنَّها جاءت من طريق الرافضة وهم من هُم في سوء النَّقل التلفيق![2].

* * *

---

(١) «شرح ديوان التبريزي»: (١/ ١٢).

(٢) انظر أمثلة على ذلك في: «مقدمة أُصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن «مجموع الفتاوى»: (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٤ ـ الطبعة الجديدة).

(ب) القصيدة الثانية:

ما نُسِب إليه من مدح بيت رسول الله ﷺ، وتفضيل عليّ رضي الله عنه:

أظبية حيث استنَّت الكتب العُفْرُ   رويدكِ لا يغتالُكِ اللَّومُ والزجرُ

وهي طويلة، ومما جاء فيها:

فعلتم بأبناء النبيِّ ورهطهِ   أفاعيل أدناها الخيانةُ والغَدْرُ
ومن قبله أحلفتم لوصيِّه   بداهيةٍ دهياء ليس لها قدْرُ

وجاء في آخرها:

جعلت هوايَ الفاطميينَ زُلفة   إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمرُ
وكوَّفني ديني على أن منصبي   شآمٌ ونجري أيَّةً ذُكِرَ النجرُ
لقد أسمع الداعيكُمُ لو سمعتموا   صراخاً ولكن في مسامعكم وقرُ
فكيف وأنتم نائمون وقد حدا   لطيَّاته أجماله ومضى السَّفرُ
فكم ليلة قضيتها متململاً   إلى أن زقت أطيارُ سحرته الزقر
كأن نجوم الليل في آخرياته   عيون له نادى بتغميضها الفجر
كأن سواد الليل ثم اخضرارهُ   طيالسةٌ سودٌ لها كفف خضر
أفكر في أحلامكم أين عُزبت   فيصرعني طوراً وأصرعُهُ الفكر

قلت: زعم بعضُ الباحثين المعاصرين أنَّ القصيدة السابقة تعد من أشهر القصائد التي مدح فيها أبو تمام أهل البيت، وظهر فيها تشيُّعه إلى حدٍ لا يقبل الجدل، وأظهر فيها غضبه ونقمته على من آذى أهل

البيت من الأُمويين والعباسيِّين على حدٍ سواء!!

ويرى بعضُ الأُدباء المعاصرين أنَّ أبا تمام لم يمدح العلويِّين إلاَّ يوم كان فتى دون السابعة عشرة من عمره، ويستدلّون على ذلك ببيتٍ من قصيدة أبي تمام السابقة، وهو:

وإن الذي أحذاني الشيب للذي ... رأيتُ ولم تكمُل لي السَّبعُ والعشْرُ

قال مُقيّده ـ عفا الله عنه ـ: الذي يترجَّح عندي أنَّ هذه القصيدة دخيلة على شعر أبي تمام، والدليل على ذلك أنَّها لم تُذْكر في ديوانه الذي تناوله «التبريزي» ومن قبله من العلماء بالشرح والتعليق! وأكاد أجزم أنَّها من وضع الرافضة الأفَّاكين، المكذِّبين بالله ورسوله ﷺ!

ومن تأمل في أبيات القصيدة بان له صِدقُ ما نُرجِّحه، والله المستعان على ما يصفون. ثم إنَّ جميع تراجم أبي تمام القديمة لم تُشر إلى هذه التُّهمة لا من قريب ولا من بعيد.

وقد عقد أبو بكر الصُّولي في كتابه «أخبار أبي تمام» فصلاً عن معايب أبي تمام» ولم يَذكْر فيه هذه التُّهمة، بل لم يُشر إليها!.

***

ج) القصيدة الثالثة:

قال أبو تمام في مدح المأمون:

شفَ الغِطاءُ فأوقدي أو أخمدي ... لم تكمدي فظننت أن لم تكمدي

كفيكـه شـوقٌ يُطيـل ظمـاءه ... وإذا سقـاه سقـاه سُـمَّ الأسـود

وهي طويلة، وفي آخرها:

هــذا أميــن الله آخــر مصــدر	شجــي الظمــاء بــه وأول مــورد
ووسيلتــي فيهــا إليـك طـريقـه	شــام يــديــن بحـب آل محمـد
نيطـت قـلائـد ظـرفـه بمحبـر	متــدمشــق متكــوف متبغــدد
حتى لقـد ظـن الغـواة وبـاطـل	أن قـد تجسـم فـي روح السيـد
ومزحزحاتي عن هـواك عـوائقٌ	أصحرن بي للعنقفير المؤيد[1]
ومتى تخيم في الفؤاد غناؤها	فعناؤها يطوي المراحل باليد[2]

فزعموا أنَّ أبا تمام يفتخر في قصيدته هذه بتشيُّعه!. وقالوا: «شام» أي: شاميّ، و«مُحبِّر»!!: قالوا لعله نسبته إلى الحبر، وهو موضع قبر الحسين ـ رضي الله عنه ـ، و«متدمشق»: نسبة إلى دمشق لسكناه هُناك، ولكون أصله من جاسم التابعة لها، و«مُتكوِّف»: مذهباً وعقيدة لاشتهار أهل الكوفة بالتشيُّع، و«متبغدد»: لسكناه بغداد، و«السيِّد»: هو السيد الحميري الشاعر المعروف»[3].

---

(١) «شرح ديوان أبي تمام/ لشاهين عطيَّة»: (ص/ ١٥١ وما بعدها). وهذا الكتاب كغيره من الدواوين التي لا يعتني أصحابُها «المحقِّقين» بزعمهم !! بالنُّصوص، فجُلُّ شرحهم بِضعُ كلماتٍ في الحاشية!، وانظر في كشف تلبيساتهم: «تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل»: (ص/٥ ـ ٢٠٠).

(٢) «شرح يوان أبي تمام للتبريزي»: (١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٣).

(٣) «أبو تمام ـ حياته وشعره»: (ص/ ٨٨)، و«أعيان الشيعة»: (٤/ ٣٩٤)

قلت: هذا الكلام في بعضه تدليس وتلفيق، والصواب ما حكاه التبريزي أنَّ الشاعر بخاطب المأمون: يا أمين الله، لقائي إليك أوَّل ، لأنِّي لم ألقك قبل ذلك. والشاعر يرى أنَّه يُحبِّر القصائد أي يُحسِّنها ويجعلها مثل الحبرة من الثياب[1]. «ومتكوِّف»: إشارة إلى تشيُّع المأمون في أول أمره وأهل الكوفة ينسبون إلى أنَّهم شيعة.

ويرى التبريزي أنَّ قول الشاعر: نيطت قلائد عزمه.. الخ، يحتمل معنيين:

الأول: أن يكون أراد أن شعره سار في هذه البلاد ودار الآفاق روي لحسنه.

الثاني: أن يكون أنه مدح بالشام بني أُمية، وبالكوفة بني عليّ، بيغداد بني العباس، والوجه المتقدم عليهما يجب أن يكون المراد، بقوله في البيت الذي يليق: حتى لقد ظن الغواة.. الخ.

«أي لفرط ميلي إلى آل الرسول ﷺ ظن أهل التناسخ أنَّ روح سيِّد الحميري قد انتقلت إلى جسمي، وهذا ظن باطل، لأنَّه غير ، والقائل به مُبْطِل...»[2].

قال مقيِّده ـ عفا الله عنه ـ: نستفيد من هذا الكلام أمرين:

الأول: أنَّ الشاعر يتقَّرب إلى المأمون بمحبته لأهلِ البيت

---

١) فانظر إلى تصحيف الرافضة السَّالف، وقارِن بينه وبين ما حرَّره التبريزي.
٢) «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي»: (١/ ٢٦٢).

لِشرفهم وفضلهم.

الثاني: نفي أن يكون الشاعر غلا في «عليّ» ـ رضي الله عنه ـ كما هو ديدن الرافضة وبعضُ غلاة الشيعة!.

وفحوى الكلام أنَّ القصائد التي نَسبتْ إلى أبي تمام: التشيُّع إلى العلويين؛ قصائد منحولة ومدسوسة على الشاعر، دسّها عليه الرافضة أهل الجور والزُّور، وكم لهم في هذا الباب من طامَّات ودسائس مبثوثة في ثنايا التاريخ، وقد أشار إلى بعضها ابن العربي (٥٤٣هـ) في كتابه القيِّم (العواصم من القواصم).

وعلَّق عليه «محِبُّ الدِّين الخطيب» (١٣٨٩هـ) بحاشية تُعدُّ فريدةً في بابها.

* * *

الثاني: قول الجاحظ عنه: «إنَّه كان من رؤوس الرافضة»!

هذا القول الأثيم أورده منسوباً إلى الجاحظ: (٢٥٥هـ): «مُحسن بن عبدالكريم الأمين العاملي» (١٣٧١هـ) أحد رموز الرافضة في الشام، وأحد مشاهيرها، نصَّ على ذلك في كتابه «أعيان الشيعة (٤/ ٣٩٤) زوراً وبهتاناً، وأحال القارئ إلى كتاب «الحيوان»، أشبهه بهذا الوصف، فمتى وأين ذكره الجاحظ؟!.

لم ينصّ الجاحظ ولا غيره من الأُدباء وأرباب التراجم ومصنّفي المقالات والفرِق على أنَّ أبا تمام كان رافضيّاً: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٣].

فدونكم كتاب «الحيوان» للجاحظ، اقرأوه وفتِّشوا فيه وقلِّبوا أوراقه، فمن وجد فيه أنَّ الجاحظ قال: كان أبو تمام من رؤوس الرافضة، فكاتب هذه السطور لا يدري ما يقول!!.

واختلاق «العامليّ» لهذه التُّهمة من تلقاء نفسه ليس بغريبٍ ولا بعجيبٍ، فهو يسيرُ على درب أئمتهِ وأشياخهِ الكذَّابين الأفَّاكين ـ كما هو معلوم من سيْر الرافضة وأخبارهم ـ مما حدا به إلى التجنِّي على الشيخ العلاَّمة «محمد رشيد رضا» (١٣٦٩هـ) في كتابه «الحصون المنيعة»، وعلى أئمة الحنابلة السلفيِّين في نجد في كتابه المظلم «كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبدالوهاب» وعلى «موسى جار الله» (١٣٦٩هـ) في «نقض الوشيعة»!!.

***

الثالث: وَلَعُ الرَّافضةِ وشَغَفُهم به، وترجمتُهم له في مُصَنَّفاتهم:

زعم من لا عِلم عند أنَّ أبا تمام تُرجم له في مصنَّفات الرافضة، فلا بُدّ أن أن يكون رافضيًّا أو شيعياً ـ على أقلّ تقدير ـ، هكذا زعموا فوقعوا في «أُمِّ أدراص وتُغُلِّسَ»!![1].

---

(١) أي: داهية. وانظر في ضبط هذا المثل: «مجمع الأمثال» (٣/ ٤٣٥)، و«شرح ديوان أبي تمام للتبريزي»: (١/ ١١).

فذكروا أنَّ «أحمد بن علي النجَاشي» (٤٥٠هـ) ترجم له في كتابه «الرجال» فقال: «حبيب بن أوس أبو تمام الطائي، كان إمامياً، وله شعر في أهل البيت كثير»!!، وترجم له «محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني» (٥٨٨هـ) في (معالم العلماء) في شعراء أهل البيت المتقين غير المجاهرين!، وذكره الشريف المرتضى» (٤٠٦هـ) في خطبة كتابه «الشِّهاب في الشيب والشباب»!

وترجم له «العامليّ» (١٣٧١هـ) في «أعيان الشيعة» و«محمد بن الحسن العاملي» (١١٠٤هـ) في «أمل الآمل».

وفحوى الكلام في المسألة أنَّ الرافضة وسائر الشيعة الغُلاة لا يُعتمد على نقلهم ولا يُوثق بقولهم ولا يُعتدُّ برأيهم؛ لأنَّهم مُكَذِّبون بالوحيْين، مُعادون لسلف الأمَّة الصالح، ووصْفُ حالهم ومآلهم ودنسهم يطول، لكن أسوق ثلاثة أمثلة تدلُّ على افترائهم وكذبهم:

الأوَّل: جاء في كتاب «رجال الكشي»: «إنَّ قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢]: نزل في العبَّاس عمّ النبيّ!!.

الثاني: جاء في كتاب «الكافي» عن سدير عن أبي جعفر قال: «... يا سدير فأُريك الصَّادِّين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسُفيان الثوريّ في ذلك الزمان وهم حِلَق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدىً ولا كتاب مبين...»!!

الثالث: جاء في «تفسير العياشي»: «.. قلت (الراوي يقول

لإمامهم) ومَنْ أعداء الله أصلحك الله؟

قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية، ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله»!!

قال شيخهم المجلسي: «أبو الفصيل أبو بكر، لأن الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان»!![1].

قلت: فحذار يا أخي المسلم من قبول الأخبار قبل التثبُّت من نقلتها ورواتها، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

❊ ❊ ❊

الرابع: زيارتُهُ لـ«ديك الجنّ»:

سبق أن ذكرنا في صدر هذه الرسالة أنَّ أبا تمام قضى في «حِمص» بالشام بعض الوقت، زار خلاله الشاعر «عبدالسلام بن رغبان» (٢٣٥هـ) المعروف بـ«ديك الجنّ».

وقد كان «ديك الجنّ» ـ كما وصفه مترجموه ـ يتشيَّع تشيعاً مُعتَدِلاً، وله مراثي في «الحسين بن عليّ» (٦١هـ) ـ رضي الله عنهما ـ، ونُقل عنه أنَّه كان خليعاً ماجناً، فالله أعلم بذلك.

والغريب ممَّن يستدلُّ بتشيُّع أبي تمام لصحبته «ديك الجنّ» كيف

---

[1] انظر في معرفة فضائحهم ومخازيهم الكتاب القيم: «أصول مذهب الشيعة»: (٧٣٤ ـ ٧٥٠). فقد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، جزاه الله خير الجزاء.

يغفل عن أمرين: الأول: أن التقاء أبي تمام بديك الجنّ كان في سنٍّ مبكرة، إذا يقدر عمره يومها ما بين (١٨) إلى (٢١). وهذه المرحلة من العمر - في نظري - لا تكفي لدخول أبي تمام في التشيُّع للمذهب العلوي!

الثاني: أنَّ كافة مترجمي حياة أبي تمام لم يذكروا أنَّ أبا تمام قابل «دِّيك الجنّ» إلاَّ مرةً واحدة فحسب.

حدث عبدالله بن محمد بن عبدالملك الزبيدي، قال: كُنْتُ جالساً عند ديك الجن، فدخل عليه حَدَثٌ فأنشده شعراً عمله، فأخرج ديك الجن من تحت مُصلاَّه دُرْجاً كبيراً فيه كثير من شعره فسلَّمه إليه وقال: يا فتي تكسَّب بهذا واستعن به على قولك. فلما خرج سألتُه عنه فقال: هذا فتى من أهل جاسم، يذكر أنَّه من طيئ، يُكنى أبا تمَّام- واسمه «حبيب بن أوس»، وفيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع».

❊ وهذا الخبر فيه فائدتان:

الأولى: أنَّ أبا تمام قدم (حِمص) وقابل (دِّيك الجنّ) وهو حَدَثٌ» أو (فَتىً) كما جاء في الخبر، وهو ما سبق أنْ أكّدناه.

الثانية: أن أبا تمام قدم (حِمص) للتكُّسب وطلب المعيشة.

وعليه لا يجوز الاحتجاج بزيارة أبي تمام لـ«ديك الجنّ» تشيُّع الأوّل، فإنَّ هذا مِن دُونهِ خَرْطُ القتاد!

وممَّا ينفي تهمة التشيُّع عن أبي تمام أنَّ أشهر أدباء الشيعة «أبو الفرج الأصبهاني» (٣٥٦هـ) لم يذكر في ترجمة أبي تمام شيئاً عن

نشيُّعه، بل لم يُشِر إلى خبر «عبدالله بن محمد بن عبدالملك الزبيدي» الذي ذكر فيه لقاء أبي تمام بديك الجنّ!!

ومن سبر ترجمة أبي تمام في المصنَّفات؛ علم يقيناً أنَّ أبا تمام لم يُطِل الإقامة بـ«حمص»، فمتى أخذ أبو تمام التشيُّع عن «ديك الجنّ»؟!

وهذا أبو بكر الصُّولي (٣٣٥هـ) يرقُم كِتاباً كاملاً في «أخبار أبي تمام» ولا يذكُر فيه لقاء أبي تمام بديك الجنّ، فضلاً عن تشيُّعه!!

ومن طالع كتاب «الصُّولي» المشار إليه؛ يلحظُ أنَّ مُؤلِّفَهُ يذكر محاسن أبي تمام ومعايبه على حدٍّ سواء، فكما يذكر فضائله ويُعدِّد مناقبه؛ فإنَّه لا يكتُم زلاَّته ولا يخفي عثراته!.

وقد أثنى الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ على سيرة «أبي بكر الصُّولي» ولم يذكر فيه ما يقدح في عِلمه وخلقه ودينه، فقال: «... كان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، مقبول القول..»[1]. وقد وافق «ابنُ حجرٍ» (٨٥٢هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ: الخطيب البغداديَّ على توثيقه وتعديله للصُّولي. كما في «ميزان الإعتدال»، فليُراجِعه من شاء[2].

فسكوت «الصُّولي» عن دعوى تشيُّع أبي تمام وإعراضهِ عنها وتجاهلها؛ دليلٌ على عدم صحتها، أو ضعفها على أقلِّ تقدير.

---

(١) «تاريخ بغداد»: (٣/ ٤٢٧).
(٢) (٥/ ٤٨٤).

الفصـــل السادس

لمَحة عن خُصومِ أبي تمَّام وأسبابُ الخصومة[1]:

لا يُوجد في تاريخ الأدب العربي ـ حتى الرُّبع الأوّل من القرن الثالث الهجريّ ـ شاعر أُثيرت حوله حركة نقدية، وخصومات واسعة، ومنافسات حادَّة، مِثلما أُثيرت حول أبي تمام ـ رحمه الله تعالى ـ، فقد ظهرت المدارس الأدبية في عصره، واحتدمت المعارك النقديَّة في زمانه، وانقسم العلماءُ والشعراءُ إلى ثلاث فئات:

الأولى: فئة معارضة له: أظهرت مثالبه دون الالتفات إلى محاسنه.

الثانية: فئة مُتعصِّبة له: تُفضِّله على غيره، ولا تنقده بشيء[2].

الثالثة: فئة معتدلة: فلم تبخسه حقَّه، ولم تجن عليه.

وهنا أُسطِّر الأسباب الرئيسة التي جعلتْ بعضَ الأدباء والشُّعراء

---

(١) انظر: فصلاً بديعاً عن الخصومات، تعريفها، وأنماطها، وتأثيرها في النقد الأدبي، في: «نقد كتاب الموازنة بين الطائيين» للأستاذ/ محمد رشاد صالح: (ص/ ٣٥ ـ ٩٠)، فقد أجاد فيه وأفاد جزاه الله خيراً.

(٢) ستأتي في الفصل السابع الأمور التي تُعدّ من المآخذ على أبي تمام؛ فلتُراجع.

يَتعصَّبون عليه ولا يُنْصِفونه فِي كثيرٍ مما اختاره أو ذهب إليه:

أولاً: علّو كعبه في الشعر:

استطاع أبو تمَّام أن يرتقي سُلَّماً عالياً بين الشعراء، ممَّا أهَّله أن يَفْضُل شعراء زمانه، فلا غرو إذا فاق أقرانه وسبق أخدانه، فقد حدَّث عن نفسه، أنَّه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، غير القصائد والمقاطيع. وحلف مرَّةً أن يحفظ ديواني «مسلم بن الوليد» و«أبي نواس» فمكث شهرين حتى حفظهما[1].

وكان الشاعر «محمد حازم الباهلي» (٢١٥هـ) يقدِّم أبا تمام في الشعر والعلم والفصاحة، ويقول: ما سمعتُ لمتقدِّم ولا مُحْدثٍ بمثل ابتدائه في مرثيته:

أصمَّ بك النَّاعي إن كان أسمعَا وأصبح مغنى الجودِ بعدَك بَلْقَعَا

ولا مثل قوله في الغزل:

ما إن رأى الأقوامُ شمْساً قبلها أفَلْت فلم تُعْقِبُهمْ بِظَلام
لو يقدرون مشوا على وجناتهم وعيونهم فضلاً عن الأقدامَ[2]

ولما قدم «عمارة بن عقيل» بغداد؛ اجتمع الناسُ إليه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال له بعضهم: هاهنا شاعر يزعم قوم أنَّه أشعر الناس طراً، ويزعم غيرهم ضدَّ ذلك فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:

---

(١) «أعيان الشيعة»: (٤/ ٣٩٣).
(٢) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٦٥).

غدت تستجيرُ الدمَع خوف نوى غدٍ ... وعـاد قتـاداً عنـدهـا كـلُّ مَـرْقـد

وهي طويلة، وفي آخرها:

ولم تُعطني الأيَّامُ نوماً مُسَكَّناً ... ألـذُّ بـه إلا بنـومٍ مُشـرَّدِ

فقال عمارة: لله درُّه، لقد تقدَّم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه، حتى لحبَّب الاغتراب، هيه، فأنشده:

وطولُ مُقام المرء في الحيِّ مُخلِقٌ ... لـديبـاجتيـه فـاغتـرب تتجـدَّدِ

فإني رأيتُ الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسْرمدِ

فقال عمارة: كمُل والله، إن كان الشعر بجوده اللَّفظ، وحُسْن المعاني، واطِّراد المراد، واستواء الكلام، فصاحبكم هذا أشعر الناس، وإن كان بغيره فلا أدري![1].

ثانياً: الحسد وتنافُس الأقران:

حُسد أبو تمام كثيراً في حياته، وتعصَّب عليه عشراتٌ من الناسِ، فلَّفقوا عليه الأكاذيب، وروَّجوها بين دهماء الناس، ولم يكن لأكثرها أصلٌ من الحقيقة، وها أنا أسوقُ بعض الأمثلة والشواهد على ذلك:

- «محمد بن زياد ابن الأعرابي» (٢٣١هـ): أبو عبدالله، علاّمة باللغة من أهل الكوفة. له أخبار مزرية تدلُّ عل عداء شديد لأبي تمام وتعصُّب عليه بغير حق[2].

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق»: (٦/ ١٨١).

(٢) «أخبار أبي تمام»: (ص١٧٦).

نورد منها ما يدل على الخصومة والعداوة: يروى أنه أنشد شعراً لأبي تمام، فقال: إن كان هذا شعراً فما قالته العربُ باطل. ولم يقف ابن الأعرابي عند حدّ الرفض لشعر أبي تمام بل تجاوز ذلك، وتحامل عليه كثيراً، وأفرط في عصبيَّته عليه، يروي عن أبي عمرو بن الحسن الطوسي، أن أباه وجَّه به إلى ابن الأعرابي أبي عبدالله محمد بن زياد، الذي كان من أكبار أئمة اللغة، يقرأ عليه أشعار هُذَيْل، قال: فمرَّت بنا أراجيز، فأنشدته أرجوزة لأبي تمام، لم أنسبها إليه، وهي التي منها: (من الرجز).

وعـاذلٍ عَـذَلْتُـهُ فـي عَـذْلِـهِ فَظَـنَّ أنـي جَـاهِـلٌ لجَهْلِـهِ

حتى أتممتها فقال: اكتب لي هذه، فكتبتها له على ظهر كتاب من كتبه، ثم قلت: له أَحَسَنَة هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها. قلت له: لأبي تمام، قال: خرِّق خرِّق، أي: مزِّق.

إنها ويعلق ابن المعتز (٢٩٦هـ) على ذلك بقوله: وهذا الفعل من مفرط القبح؛ لأنه يجب أن لا يدفع إحسان محسن، عدواً كان أو صديقاً، وأن أتؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع[1].

أما أبو العباس المبرد (٢٨٦هـ) فيعلق على تصرف ابن الأعرابي بقوله: ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح لها القلوب، وتُحَرَّك بها النفوس، وتصغي إليها الأسماع، وتشحذ بها الأذهان، ويعلم كل من

«المثل السائر»: (٣/ ٢٧٣). و«تاريخ بغداد»: (٨/ ٢٥٠).

له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ في الإجادة أبعد غاية وأقصى نهاية، فإنما غَضَّ من نفسه، وطعن على معرفته واختياره[١].

ـ «دعبل بن عليّ الخزاعي» (٢٤٦هـ): أبو علي، شاعر هجَّاء. أصله من الكوفة. كان بذيء اللسان مُولعاً بالهجو والحطّ من أقدار الناس، وهجا «الرشيد» (١٩٣هـ)، و«المأمون» (٢١٨هـ) و«المعتصم» (٢٢٧هـ) و«الواثق» (٢٣٢هـ)!

قال دعبل عن أبي تمام: «ثُلثُ شعره سرقة، وثلثه غثّ، وثلثه صالح». وقال أيضاً: «لم يكن أبو تمام شاعراً، إنما كان خطيباً، وشعره بالكلام أشبه منه بالشِّعر»!![٢].

روى محمد بن موسى، قال: سمعت «عليّ بن الجهم» (٢٤٩هـ) ذكر دعبلاً فكفَّره ولعنه، وطعن على أشياء من شعره، وقال: كان يكذب على أبي تمام، ويضع عليه الأخبار، ووالله ما كان إليه ولا مقارباً له[٣].

روى عونُ بن محمد قال: شهدتُ دِعْبلاً عن الحسن بن رجاء، وهو يضعُ من أبي تمام، فاعترضهُ عِصابةُ الجرْجَرائيّ فقال: يا أبا علي، اسمع مني مما مدح به أبا سعيد محمد بن يوسف، فإن رضيتهُ فذاكَ، وأعوذُ بالله فيك من ألا ترضاهُ، ثم أنشده:

---

(١) «أخبار أبي تمام»: (ص١٧٦).
(٢) «الأغاني»: (١٦/٣٠٧).
(٣) «أخبار أبي تمام»: (ص١٦).

أمَا إنَّهِ لولا الخليطُ المودِّعُ

فلما بلغ إلى قوله :

لقد آسفَ الأعداء مجدُ ابن يوسف ... وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع

هو السيلُ إن واجهته انقدت طوعه ... وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ... ولم أرَ ضراً عند من ليس ينفع

معادُ الورى بعد المماتِ، وسيبه ... معادٌ لنا قبل الممات ومرجع

فقال دِعبل : لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه وتنسبون إليه ما قد سرقه ، فقال له عصابة : تَقَدُّمُهُ في إحسانه صيَّرك له عائباً ، وعليه عاتباً[1] .

وروى المهلبي : كنا في حلقة دعبل ، فجرى ذكر ابن تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معاني فيأخذها . فقال له رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك أعزك الله؟ قال : قولي :

وإن امرأ أسدى إلي بشافع ... إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج أنه ... يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام؟

فلقيت بين يديه حلو عطائه ... ولقيت بين يدي مُرّ سؤاله

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة ... من جاهه فكأنَّها من ماله

---

[1] «أخبار أبي تمام» : (ص/ ١٨٢).

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبت قبَّحك الله. فقال والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك، وإن كنت أخذته منه، فما بلغت مبلغه. فغضب دعبل وانصرف. وأَسمعه أحدُهم شعراً لأبي تمَّام دون أَن يُعْلمه أنَّه له، ثم قال له كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد يأس. فقال له الرجل: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه![1].

ومن حُسَّاد أبي تمام «إبراهيم بن المدبر»، كان بتعصَّب عليه ويحطُّه عن رُتْبتهِ، ويستجيدُ شعره، ولكن لا يُوِّفيه حقَّه.

وعاب «ابن المعتّز» أبا تمام بأنَّه «أفسد ذوق معاصريه بإفراط المعاني والمجازات»[2].

وقد تحامل «الآمدي» (٣٧٠هـ) في كتاب «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» ـ على أبي تمام، إلا أنَّ بعض المصنَّفين ردوا عليه. يقول: «ابن النَّديم» (٤٣٨هـ): «إنَّ في الآمدي تحاملاً على أبي تمام»! ونسبه «الشريف المرتضي» (٤٠٦هـ) «إلى الغلو في انتقاد أبي تمام».

وقال ياقوت الرومي: «لأبي القاسم ـ الآمدي ـ تصانيف كثيرة جيِّدة مرغوب فيها، منها كتاب الموازنة.. وهو كتاب حسن وإن كان قد عِيب عليه في مواضع مِنه، ونُسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده والتعصُّب على أبي تمام فيما ذكره... فإنَّه جدَّ واجتهد في طمس

---

(١) «الأغاني»: (١٥/ ١٠٢).

(٢) «أبو تمام ـ لمحمد مروة»: (ص/ ٥٩).

محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري»![1].

يُروى أن رجلاً عُرف بعصبيته للبحتري وتفضيله إيّاه على أبي تمام، التقى الحاتمي (٣٨٨هـ) فقال له: ما يحسن أبو تمام يبتدئ، ولا يخرج، ولا يختم، ولو لم يكن للبحتري عليه من الفضل إلا حسن إبتداءاته، ولطفُ خروجه، وسرعة انتهائه لوجب أن يقع التسليم له، فكيف بأوابده التي تزداد على التكرار غَضَارة وجدة، ثم أخذا يستعرضان بعض أشعار الشاعرين.

فقال الحاتمي له: هل هذه المعاني إلا عُون مفترعة، قد تقدم أبوتمام إلى سبك نضارها، وافتضاض أبكارها، وجرى البحتري على وتيرته في انتزاع أمثالها واتباعها؟ ثم أخذ الحاتمي يثبت صحة قوله، ويفند أقوال الرجل الواحد تلو الآخر، حتى انتهى من حديثه. ويضيف الحاتمي قائلاً: هل يستطيع أحدٌ أن ينسب هذا أو شيئاً منه إلى السَّرَق والاحتذاء؟ وهل يستطيع مماثلته بشيء من شعر البحتري، أو أشعار المحدثين في عصره ومن قبله؟ فعيَّ عن الجواب قصوراً، وأحجم عن المساجلة تقصيراً، وحكمت الجماعة لي بالقهر، وعليه بالنصر، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف بتقديم أبي تمام في صنعة البديع اختراع المعاني على جميع المحدثين[2].

---

١) «المصدر السابق»: (ص/ ٥٧).
٢) «زهر الآداب»: (٣/ ٦٥٥ـ٦٦٣).

ولأبي بكر الصُّولي ـ رحمه الله تعالى ـ كلمة قيِّمة في هذا الباب أسوقها لأهميَّتها ونفاستها:

«رأيتُ ـ أَعزَّك الله ـ أكثر المتحلِّين بالأدب في زماننا هذا على خلاف ما عهدتُ عليه القدماء الماضين، والعلماء الأستاذين: يطلبُ الرجلُ منهم فناً من فنون الآداب فيُقسم له حظ فيه، وينال درجة منه، فلا يرى أن اسم العالم يتم له، ولا أن الرياسة تنجذب إليه، إلا بالطعن على العلماء والوضع من ماضيهم، والاستحقار لباقيهم؛ ويكثر ذاك على لسانه حتى يكون أجل فوائده، وأكثر ما يمر في مجلسه ثم لا يقنع بالعلم الذي جذب أطرافه، وادَّعى جملته، واحتجز عن المناظر له، والمبين عن مقداره بالحجة عليه، بقومٍ أعدهم لمواثبة من يسألُه، والانتهار لمن يُطالبه، حتى يدعي من العلوم ما لم يخطر له ببال، ولا كد فيه ذهناً، ولا حَمَل إلى أهله قدماً، ولا عُرف له طالباً، ويظن أنه متى لم يَعلمْهُ لم يُعد عالماً، ولم يُحتسب رئيساً»[1].

وقال أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ):

«هناك أقوام يتعمَّدون الرديئ من شعر أبي تمَّام ينشرونه **ويطوون** محاسنه، ويستعملون المكابرة في ذلك، ليقول الجاهلُ بهم: **إنهم لم** يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب، وهذا مما **يتكسب** به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب **الناس**

---

(١) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٦ ـ ٧).

وطلب معايبهم سبباً للترفع، وطلباً للرياسة»[1].

نُبوغُه وسُرْعةُ بديهته:

عُرف أبو تمام بالذكاء وسرعة البديهة. روى كاتب الحسن بن رجاء: قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيتُ مِنه رجلاً عقله علمه فوق شعره.

وروى كثير من الأدباء: كان أبو تمام إذا كلَّمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه كان عَلِم ما يقولُ فأعدَّ جوابه[2].

ويقول الكندي الفيلسوف يعقوب بن إسحاق (٢٦٠هـ): رأيتُ من الحدَّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحِسّن، وجودة الخاطر، ما علمت أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهنَّد غمده.

ويبدو أنَّ بعض الشعراء والعلماء كانوا يتعصَّبون على أبي تمام، ويطلقون أحكامهم جزافاً، غير قائمة على استقراء كامل شامل، يروى عن يحيى بن علي (٢٧٥هـ) أنه قال: كان محمد بن القاسم بن مهرويه ٢٨٢) يقدم دعبلاً على أبي تمام، فقلت له: بأي شيء قدمته؟ فلم يأت بمقنع، فجعلتُ أنشده محاسنهما، فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز، وإذا عيوب دعبل أعظم وأفحش، فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل، قلت:

«الأغاني»: (١٦/ ٣٠٣).

«أخبار أبي تمام»: (ص٧٢، ١٧٢).

يا أبا جعفرٍ أتحكمُ في الشعـ ـــرِ ومـا فيـك آلـةُ الحُكّـامِ
إن نقـد الـدينار إلا علـى الصيـ ـرف صعبٌ فكيفَ نقدُ الكلام؟
قدرأيناك لا تفرق في الأشعار بيـــن الأرواح والأجســـام
لا تقـسِ دِعبـلاً إذن بحبيـبٍ ليس خُفّ البعيرِ مثل السنامِ[1]

ومن الأخبار الشهيرة في هذا المقام ما رواه كثير من الأدباء أن أبا تمام مدح المعتصم بقصيدة مطلعها:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حِلم أحنف في ذكاء إياسِ

فاعترضه الوزير الكندي قائلاً: شبَّهتَ أمير المؤمنين بأجلاف العرب، فأطرق ثُمَّ زادها:

لا تُنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في النَّدى والباس
فـالله قـد ضـرب الأقـلَّ لنـورِه مثلاً مِن المشكاة والنِّبراسِ[2]

قال الخطيب التبريزي ـ رحمه الله تعالى ـ:

«كان أبو تمام أنشد أحمد بن المعتصم هذه القصيدة وليس فيها البيتان، أعني قوله: «لا تنكروا. . .» والبيت الذي بعده، فقال يعقوب بن إسحاق الكندي وكان يخدم أحمد: الأمير أكبر في كل شيء من شبَّهته به، فعمِل هذين البيتين وزادهما في القصيدة من وقته، فعجب أحمد وجميع من حضره من فطنتة وذكائه وأضعف جائزته»[3].

---

(١) «وفيات الأعيان»: (٢/ ٢٠).

(٢) «ديوانه»: (١/ ٣٦٢).

(٣) «شرح ديوان أبي تمام»: (١/ ٣٦٢).

قلت: وقد نبَّه الحافظ الذهبيُّ - رحمه الله تعالى - إلى زيادة موضوعة في الخبر السابق، حيث ذكر بعد قول أبي تمام: لا تُنكروا ضربي له من دونه . . .

قال: «فقال الوزير: أعطه ما شاء، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً، لأنَّه قد ظهر في عينيه الدمُ من شدة فِكره. وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر. فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ قال: الموصل، فأعطاه إيَّاها، فتوجَّه إليها، ومات بعد هذه المدَّة. هذه حكاية غير صحيحة. وأما البيت فلن يحتاج إلى اعتذار أصلاً»[١].

وقد أشار إلى ضعف هذا الخبر: «أبو بكر الصولي» فقال بعد أن أورد الخبر على وجهه الصحيح: «وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا، وليس بشيء، وهذا هو الصحيح»[٢].

وعلى أيَّةِ حال فإنَّ لأبي تمَّام أخباراً طريفة وقصصاً نفيسة تدلُّ على فضله ونباهته وسرعة بديهته، وقد ذكر طرفاً منها «أبو بكر الصولي» و«أبو الفرج الأصفهاني» و«ابن خلكان» فلتراجع هناك، فليس هذا المقام مقام بسطها.

---

١) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ٦٩).

٢) «أخبار أبي تمام»: (ص/ ٢٣٢). وقد نبَّه «ابن خلكان» في «وفيات الأعيان»: (٢/ ١٥) على ضعف الخبر السابق قائلاً؛ «وهذه القصة لا صحة لها أصلاً». وكذا تبعه «ابن كثير» في «البداية والنهاية»: (٥/ ٣١٣) حيث قال: «وليس هذا بصحيح، ولا أصل له».

الفصل السابع
مآخذ وتعقبات على أبي تمَّام

أبو تمَّام كسواهُ من الشُّعراء والأُدباء، لا يخلو أحدهم من زللٍ أو خطأٍ في شعره أو أدبه أو رأيه. وسبق أن قدَّمنا في ثنايا الرسالة ما تحصيله: أنَّ الناس في الحكم على أبي تمام ثلاثة:

الأول: مُحبٌّ له، مُتعصِّب له، لا يرى فيه خللاً، ولا يقبلُ فيه نقداً.

الثاني: مُبغضٌ له، مُتعصِّب عليه، لا يلتفتُ إلى محاسنه، ولا يلوي إلى فضائله ومناقبه.

الثالث: مُنصفٌ له، يعرف له حقه وقدره، ويُنبِّه على غلطه وزلله.

وما أجمل ما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«وكثير من النَّاس إذا علم من الرجل ما يحبه: أحبَّ الرجل مُطْلقاً وأعرض عن سيئاته، وإذا علم مِنهُ ما يُبْغضه أبغضه مطلقاً وأعرض عن حسناته»[١].

وقد رأيتُ ـ من خلال دراستي لحياة هذا الرجل ـ أُموراً أُنبِّه عليها على عجل، ومن أراد الإفاضة فليرجع إلى المصادر المبسوطة،

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ١٥).

فأقول:

الأول: ثناؤه وتقربه ممَّن رُمي ببدعة مكفِّرة، أعني: «أحمد بن أبي دواد الإيادي» (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ) أحد القضاة المشاهير من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن. قال الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ: كان جهمياً بغيضاً، حمل الخلفاء على امتحان النَّاس بخلق القرآن![١].

وقد مدحه أبو تمَّام بقصائد، ومما قاله فيه:

لا نـزع الله منـك صـالحـة ... أبليتهـا مـن بـلائـك الحسـنِ

لا زلـت تـزهـى بكـل عـافيـة ... تجتثهـا مـن معـارض الفتـن

لـو أن أعمـارنـا تطـاوعنـا ... شـاطـره العمـر سـادة اليمـن

إن بقـاء الجـواد أحمـد فـي ... أعنـاقنـا منـة مـن المنـنِ!![٢]

فمدحُ أبي تمام لذلك البغيض زلَّة كبيرة لا نجد لأبي تمام عذراً من الوقوع فيها، سوى الطمع فيما في أيدي الأُمراء والوزراء والوجهاء من حُطام الدنيا الفاني!

وممَّا يزيد العتب على أبي تمام في هذا أنَّه قد حفظ القرآن كما مرَّ معنا ودرس بعض العلوم الإسلامية، وقرأ على علماء عصره وشيوخ دهره[٣].

---

(١) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٩٧) و«لسان الميزان»: (١/ ١٨١).

(٢) «شرح ديوان أبي تمام للتبريزي»: (١/ ١٦٠).

(٣) انظر بعض أخبار أبي تمام مع أحمد بن أبي دواد، في: «أخبار أبي تمام للصولي»: (ص/ ١٤١ ـ ١٥٧). وعن محنة خلق القرآن، وأسبابها، انظر: =

الثاني: ليس لشاعرنا أيّة قصيدة في تسجيل أحداث عصره كمحنة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ، بل ليس للشاعر حضور أدبيّ في الإشادة بعلماء عصره بمدحٍ أو رثاء. وأغلب الظن أن ذلك يعود إلى ثلاثة أمور

الأول: الفقر الذي صرف الشاعر للحصول على المال من أربابه عن طريق مدحهم، وهذا لا يوجد عند علماء الدِّين!

الثاني: بطش السلطان، وقهر الخلفاء، لا سِّيما لمن كانوا موضع نظر لأحداث تمسَّ بلاط الحكم، كالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ؛ في صراعه مع بعض خلفاء بني العباس، من أجل تنزيه الشريعة عن المذاهب الفاسدة والأفكار الدخيلة.

الثالث: قِصر عُمْر أبي تمَّام، فلم يُعمَّر سوى ثلاث وأربعين سنة؛ فلعلَّه لو فُسح له في الأجل، لنظم من الشعر الجيِّد ما يخدمُ الإسلام وأهله، وينافح عن دين الله وشرعه. والله أعلم.

وأبرز قصائد أبي تمام، بل وأشهرها في هذا الباب؛ قصيدته عند فتح «عموريّة»[1]:

السيَّف أصدق إنباءً من الكتب ... في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعب

وهذه القصيدة جديرة بالحفظ والدراسة والتحليل، وفيها من

= «البداية والنهاية»: (٥/ ٣٤٥ ـ ٣٦٠).

(١) «عَموريّة»: بلد في بلاد الروم، فتحها المعتصم في سنة (٢٢٣هـ).

المعاني السامية، والوجوه الحسنة، ما هو جدير بالإشادة والنشر[1].

الثالث: عدم توقي ٱلشاعر لدينه، بل وتعرُّضه لكثير من الشبهات، ومخالطته للفسقة وضعاف الدِّين، كصحبته لـ«ديك الجنّ». وهذا ليس حِكراً على أبي تمّام، فقد عاش في عصر تكاثرت فيه الفتن، وكثر فيه المجون، واختلطت فيه القيم. ومما يهوّن الأمر، ويثلج الصدر، ويُبْعد التُّهمة عن شاعرنا ما ساقه الحافظ الذهبيُّ في مصنَّفه الحافل «سير أعلام النبلاء» في ترجمة «علي بن هلال ابن البوّاب» (٤١٣هـ) ـ رحمه الله ـ حين قرن الحافظ الذهبي اسم أبي تمام بأعلام الصحابة ومشاهير علماء الإسلام، وأعيانهم، حيث قال:

«الكتابةُ مُسلَّمة لابن البوّاب، كما أن أقرأ الأمة أُبيّ بن كعب، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالتأويل ابن عباس، وأمينهم أبو عبيدة، وعابرهم محمدُ بن سيرين، وأصدقهم لهجة أبو ذر، وفقيه الأمة مالك، ومحدثهم أحمد بن حنبل، ولغويهم أبو عبيد، وشاعرهم أبو تمام، وعابدهم الفضيل، وحافظهم سفيان الثوري، وأخباريهم الواقدي، وزاهدهم معروف الكرخي، ونحويهم سيبويه، وعروضيهم الخليل، وخطيبهم ابن نباتة، ومنشئهم القاضي الفاضل، وفارسهم خالد بن الوليد. رحمهم الله»[2].

---

١) انظر تعليقاً نفسياً على القصيدة في: «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»: (ص٢٥٦ـ٢٦٢).

٢) «سير أعلام النبلاء»: (١٧/ ٣١٩ـ٣٢٠).

وقد أورد الصُّولي خبراً طريفاً عن أبي تمام يدلُّ ـ إن شاء الله تعالى ـ على عفته وصلاحه، قال:

روى مسعود بن عيسى قال: حدثني صالحٌ غلام أبي تمام، المنشدُ كان لشعر أبي تمام، وكان حسن الوجه، قال: دخل أبو تمام على الحسن بن وهب، وأنا معه، وعلى رأسه جارية ظريفة فأومأ إليها الحسن يغريها بأبي تمام، فقالت:

يا ابن أوس أشبهت في الفسق أوساً	واتخـذت الغـلام إلفـاً وعـرسـا

فقال أبو تمام:

أبـرقـت لـي إذا ليس لـي بـرق	فـتـزحـزحـي مـا عـنـدنـا عشـق
ما كنت أفسق والشباب أخي	أفحين شبتُ يجوز لي الفِسقُ؟
لـي همـة عـن ذاك تـردعنـي	ومـركـب مـا خـانـه عِـرقُ[1]

* * *

---

(١) «أخبار أبي تمام، للصولي»: (ص/ ٢١٠).

الفصل الثامن
لمحات عن عقيدة أبي تمَّام من شعره

من العسير جداً عرضُ عقيدة أبي تمام مُفصَّلة خلال هذه الرسالة. وحيثُ ذكرنا فيما سلف أنَّ ما ندين الله به: أنَّ أبا تمام شاعر إسلاميّ؛ نافح بشعره ونظمه عن الإسلام والإيمان خلال سني عمره التي قضاها، فنجتزئ هنا لمحات يسيرة اقتبسناها من ديوانه، وهي تكفي في الردّ على «لويس شيخو» وأضرابه، ممَّن يدَّعي نصرانية أبي تمام بلا بُرهان قاطع!.

وقد قسمت هذه اللمحات إلى الفِقرات الآتية:

أ) التوحيد.

ب) الشعائر الإسلامية.

جـ) القرآن الكريم.

د) الأخلاق الإسلامية.

هـ) اليوم الآخر.

وطلباً للاختصار فإنني أُعلِّق عل ما يقتضيه المقام بدون إسهاب، والله حسبنا ونعم الوكيل[1].

---

[1] وقد ناقض «لويس شيخو» نفسه في معرض نفيه لإسلام أبي تمَّام وإثبات =

(أ) التوحيد:

قال أبو تمام ـ رحمه الله ـ:

لو يعلم الكفر كم من أعصُرٍ كمُنت ... لـه المنيَـةُ، بيـن السُّمـر والقُضـبِ
حتى تركت عمود الشِّرك منقعراً ... ولـم تُعرِّج علـى الأوتـاد والطُّنبِ
أبقيت حدَّ بني الإسلام في صُعُدٍ ... والمشركين ودار الشِّرك في صببِ[1]

وقال أيضاً:

أخـاف إلهـي ثـم أرجـو نـوالـه ... ولكـن خـوفـي قـاهـر لـرجـائيا
ولولا رجائي واتكالي على الذي ... تـوحَّـد لـي بـالصنـع كهـلاً ونـاشيا
لما ساغ لي عذبٌ من الماء بارد ... ولا طاب لي عيش ولا زلتُ باكياً
علـى إثـر مـا قـد كـان منِّي صبابـةً ... ليـالـي فيهـا كنـتُ لله عـاصيـاً
فـإنـي جـديـر أن أخـاف وأتقـي ... وإن كنت لم أُشرك بذي العرش ثانياً
وأدّخـر التقـوى بمجهـود طـاقتـي ... وأركب في رشدي خلاف هوائيا[2]

= نصرانيّته، فقال: «هذا ما يحملنا على القول بنصرانية أبي تمام، على أنَّ في ديوانه عِدّة أبيات تُشعْر بأنّه يدين بالإسلام، فحيناً يحلِفُ بالبيت الحرام ويقول إنَّه حجَّ إليه، وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الإسلام، كأنهما نبيّه ودينه، وإذا ذكر الروم نبذهم بالشِّرك والكفر، ويعظِّم القرآن. وهذا كله لممَّا يُثْبِتُ إسلامه» اهـ «شعراء النَّصرانية بعد الإسلام»: (ص/ ٢٥٨)

(١) «ديوانه»: (ص/ ٦٠).

(٢) «ديوانه»: (ص/ ٢٣٠).

وقال أيضاً:

يا أيها الملك الهمام وعدله ملـك عليـه فـي القضـاء هُمَـام
مـا زال حكـم الله يُشـرق وجهـه في الأرض مذ نِيطت بك الأحكامُ[1]
لما رأيتُ الـدِّيـن يخفق قلبـه والكفـر فيـه تغطـرسُ وعـرام

إلى أن قال:

ما كان للاشتراك فورة مشهدٍ والله فيـه وأنـت والإسـلامُ[2]

وقال أيضاً من قصيدة يُشيرُ فيها إلى مجوسيَّة الأفشين[3] وعبادته للنَّار وإحراقه بالنار:

لله مـن نـارٍ رأيـتُ ضيـاءهـا ضاق الفضاءُ بهـا علـى النظـار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشركٍ ما كان يرفع ضوؤها للساري
صلى لهـا حيـاً وكـان وقـودهـا ميتـاً ويـدخلهـا مـع الفُجَّـار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم يوم القيامة جُلُّ أهل النار[4]

وقال أيضاً في أمر «بابك الخرمي».

---

١) «ديوانه»: (ص/ ٢١٠).
٢) «ديوانه»: (ص/ ٢٢٢).
٣) «ديوانه»: (ص/ ١٢٠).
٤) الأفشين: اسمه «خيذر بن كاوس»، كان علىٰ دين أجداده المجوس، وكان يظهر الإسلام تقيَّة، ولما تُحقق من كفره وزندقته أمر المعتصم بإحراقه سنة (٢٢٦هـ). انظر: فوائد عن سيرته في: «البداية والنهاية»: (٥/ ٣٠٦). و«الكامل في التاريخ»: (٦/ ٥١٠ـ٥١٨).

آلـت أُمـور الشـرك شـرَّ مـآل   وأقـرّ بعـد تخمُّـط وصيـالِ[1]

وقال أيضاً في مدح أبي سعيد الثغري:

أدركـتَ فيـه دم الشهيـد وثـاره   وفلجت فيه بشكر كل مُوحِّدِ

ضحكت له أجبال مكة ضحكها   فـي يـوم بـدر والعتـاة الشهيـد

أحييت للأسلام نجدة خالد   وفسحت فيه لمتهم ولمنجد[2]

وقال أيضاً:

وأحق الأنام أن يقضي الدَّين   أمـرؤ كـان لـلإلـه غـريمـاً[3]

قلت: فهذه الأبيات وغيرها من أشعار أبي تمام التي يلهج فيها بالإسلام، تنطق ـ والله ـ بالتوحيد فيما نحسب، وتشهد بالإيمان وصفاء العقيدة ـ ولا نزكي على الله أحداً. وفي الجوانب الإسلامية الأخرى من شعره ما يشهد بهذا ويؤازره ويعضده.

(ب) الشعائر الإسلامية:

قال أبو تمام في وصف حجِّه:

لعلـكَ ذاكـرُ الطلـلِ القـديـمِ   وموفٍ بالعهودِ على الرسومِ

وواصـفُ نـاقـةٍ تَـذَرُ المهـاري   مـوكَّلـةً بـوخـدٍ أو رسيـمِ

وقـد أمَّـمـتُ بيـتَ الله نضـواً   علـى عيـرانـةٍ حـرفٍ سعـومِ

---

(١) «ديوانه»: (ص/ ١١٥).

(٢) «ديوانه»: (ص/ ٧٠).

(٣) «ديوانه»: (ص/ ١٤٠).

أتيتُ القادسيَّةَ وهي ترنو ... إلى بعين شيطانٍ رجيم

وبدَّلها السرى بالجهل حِلماً ... وقدَّ أديمَها قد الأديم

أذاب سنامها قطعُ الفيافي ... ومَزَّق جلدها نضحُ العصيم

طواها طيُّها الموماةَ وخداً ... إلى أجبال مكة والحطيمِ

رَمَتْ خطواتِها ببني خطايا ... مُواشِكةً إلى رب كريم[1]

وقال أيضاً:

أعطى أمير المؤمنين سيوفه ... فيه الرضا وحكومة المقتال

مستيقناً أنَّ سوف يمحو قتلهُ ... ما كان من سهو ومن إغفالِ

مثلَ الصلاة إذا أُقيمت أصلحت ... ما بعدها من سائرِ الأعمالِ[2]

وقال أيضاً:

أن الرماحَ إذا غرسن بمشهدٍ ... فجنا العوالي في ذَراهُ معالي

لما قضى رمضانُ فيهِ قضاءَهُ ... شالت بهِ الأيَّامُ في شوَّال[3]

جـ: القرآن الكريم:

قال أبو تمام:

سُور القرآن الغرّ فيكم أنزلت ... ولكم تُصاغُ محاسن الأشعار[4]

وقال أيضاً:

---

(1) «ديوانه»: (ص/ ١٩٠).

(2) «ديوانه»: (ص/ ١٦٠).

(3) «ديوانه»: (ص/ ١٦٠).

(4) «ديوانه»: (ص/ ٨٥).

هـذا النبـيُّ وكـان صفـوة ربِّـه ... مـن بيـن بـادٍ فـي الأنـام وقـ
قد خُصّ من أهل النفاق عصابة ... وهـم أشـدُّ أذىً مـن الكفـ
واختار من سعد لعين بني أبي ... سـرح لـوحـي الله غيـر خيـ
حتى استضاء بشعلة السُّور التي ... رفعت له سجفاً عن الأسرار[1]

وقال أيضاً:

لمـا أبـوا حجـج القـرآن واضحـةً ... كانت سيوفك في هاماتهم حججا[2]

وقال أيضاً:

الـودُّ للقـربـى ولكـن عـرفـه ... للأبعد الأوطان دون القرب[3]

وقال أيضاً:

وثمـود لـم يـدهنـوا فـي ربِّهـم ... لـم تُـرم نـاقتـه بسهـم قُـدار[4]

وقال:

ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... لاثنيـن ثـان إذ همـا فـي الغـا
لـو لـم يكـد للسـامـري قبيلـه ... ما خار عجلهم بغير خوار[5]

---

(١) «ديوانه»: (ص/ ٧٥).
(٢) «ديوانه»: (ص/ ٦٠).
(٣) تضمين من قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. وانظر: «ديوانه»: (ص/ ٦٥).
(٤) «ديوانه»: (ص/ ٩٢).
(٥) «ديوانه»: (ص/ ٩٧).

وقال أيضاً:

قد أوتيت من كل شيء نعمة ... وداً وحسناً في الصِّبا مغموساً
لولا حداثتها وإني لا أرى ... عرشاً لها لحسبتها بلقيسا[1]

وقال أيضاً:

قومٌ غدا الميراثُ مضروباً لهم ... سورٌ عليه من القرآن حصينُ[2]

د: **الأخلاق الإسلامية:**

ألم يأن تركي لا عليَّ وليا ... وعزمي على ما فيه إصلاح حاليا؟
أقول لنفسي حين مالت بصغوها ... إلى خطرات قد نتجن أمانيا
هبيني من الدنيا ظفرتُ بكل ما ... تمنيت أو أُعطيت فوق أمانيا
أليس الليالي غاصباتي بمهجتي ... كما غصبت قلبي القرون الخواليا؟
ومسكنتي لحداً لدى حفرة بها ... يطول إلى أخرى الليالي ثوائيا؟
كما أَسكنت ساماً وحاماً ويافثاً ... ونوحاً ومن أضحى بمكة ثاوياً!
فقد أَنستْ بالموت نفسي لأنني ... رأيتُ المنايا يخترمن حياتيا
فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي ... أكون رفاتاً لا عليَّ ولا ليا
أخاف إلهي ثم أرجو نواله ... ولكن خوفي قاهر لرجائيا
ولولا رجائي واتكالي على الذي ... توحَّد لي بالصنع كهلاً وناشيا
فإني جدير أنَّ أخاف وأتقي ... وإن كنتُ لم أُشرك بذي العرش ثانيا
وأدخر التقوى بمجهود طاقتي ... وأركب في رشدي خلاف هوائياً

---

(١) «ديوانه»: (ص/ ١٠٢).
(٢) «ديوانه»: (ص/ ٩٠).

لما ساغ لي عذب من الماء باردٌ ... ولا طاب لي عيش ولا زلتُ باكيا
على إثر ما قد كان منِّي صبابة ... ليالي فيها كنت لله عاصيا[1]

وقال أيضاً:

أولى البرية حقاً أن تؤاسيه ... وقت السرور الذي واساك في الحزنِ
إنَّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في الموطن الخشنِ[2]

وقال أيضاً:

ما يحسم العقل والدنيا تُسَاسُ به ... ما يحسم الصبر في الأحداث والنوب
الصبر كأس وبطن الكف عارية ... والعقل عادٍ إذا لم يُكس بالنَّشب[3]

وقال أيضاً:

وأَخلِص لدين الله صدراً ونيةً ... فإنَّ الذي تُخفيه يوماً سيظهر
وقد يسترُ الإنسانُ باللفظ فعلَه ... فيظهر منه الطرف ما كان يستر
تذكَّرْ وفكِّرْ في الذي أنت صائرٌ ... إليه غداً، إنْ كنتَ ممَّنْ يفكرُ[4]

وقال أيضاً:

لا خير في قربى بغير مودةٍ ... ولرب منتفع بودٍّ أباعد
وإذا القرابةُ أقبلت بمودة ... فاشدد لها كفَّ القبول بساعد[5]

---

(١) «ديوانه»: (ص/ ٢٠٥).
(٢) «ديوانه»: (ص/ ١٨٥).
(٣) «ديوانه»: (ص/ ٤٣). والنَّشب: المال.
(٤) «ديوانه»: (ص/ ٧٦).
(٥) «ديوانه»: (ص/ ٧٩).

وقال أيضاً:

أتأمل في الدنيا تجدُّ وتعمُر؟ وأنت غداً، فيها تموت وتُقبر
تُلقِّح آمالاً، وترجو نتاجها؛ وعُمرك ممّا قد ترجّيه أقصر!
تحوم على إدراك ما قد كُفيتَه؛ وتُقبل، بالآمال فيه، وتدبر
وهذا صباح اليوم، ينعاك ضوءُه؛ وليلته تنعاك، إن كنت تشعُر
ورزقك لا يعدوك، إما معجل على حاله يوماً، وإما مُؤخر
ولا حول محتال، ولا وجه مُذهب، ولا قدر يزجيه، إلا المُقدّر
وقد قدَّر الأرزاق من ليس عادلاً عن العدل، بين الخلق، فيما يقدّر
فلا تأمن الدنيا، وإن هي أقبلت عليك، فما زالت تخون وتغدر
فما تمَّ فيها الصفو يوماً لأهله، ولا الرنق، إلا ريثما يتغيَّر
وما لاح نجم، لا، ولا ذرَّ شارق على الخلق، إلا حبل عمرك يقصُر
تطهَّر، وألحِق ذنبك، اليوم، توبة؛ لعلَّك، منه، إن تطهّرت، تطهر[1]

هـ: اليوم الآخر:

قال أبو تمام:

أقول لنفسي حين مالت بصغوها إلى خطرات قد نتجن أمانيا
هبيني من الدنيا ظفرت بكل ما تمنيت أو أعطيت فوق أمانيا

---

(١) «ديوانه»: (ص/ ٨٤).

أليس الليالي غاصباتي بمهجتي ... كما غصبت قلبي القرون الخواليا؟
ومسكنتي لحداً لدى حفرة بها ... يطول إلى أخرى الليالي ثوائيا؟
كما أسكنت ساماً وحاماً ويافثاً ... ونوحاً ومن أضحى بمكة ثاوياً!
فقد أنست بالموت نفسي لأنني ... رأيت المنايا يخترمن حياتيا
فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي ... أكون رفاتاً لا علي ولا ليا[(١)]

وقال أيضاً:

تذكر وفكر في الذي أنت صائر ... إليه غداً إن كُنْتَ ممن يفكر
فلابد يوماً أن تصير لحفرة ... بأثنائها تطوى إلى يوم تنشر[(٢)]

* * *

(١) «ديوانه»: (ص/ ٢٢٤).

(٢) «ديوانه»: (ص/ ٧٨).

فهرس المصادر

- أباطيل وأسمار، محمود شاكر، ط دار المدني، ١٩٦٥م.
- أبو تمام، حياته، وحياة شعره، محمد نجيب البهبيتي، ط دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.
- أبو تمام: عصره ـ حياته ـ شعره، محمد مروّه، ط دار التب العلمية ١٤١١هـ.
- أبو تمام الطائي، حياته وشعره، هاشم منّاع، ط دار الفكر العربي.
- أبو تمام: حياته وشعره، محمّد حمّود، ط دار الفكر اللبناني ١٩٩٥م.
- أبو تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً، عبدالله المحارب، ط الخانجي ١٤١٢هـ.
- أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن الميداني، دار القلم دمشق.
- أخبار أبي تمام/ الصولي، تحقيق عساكر ورفاقه، ط دار الحياة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، ط المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ.
- الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ط دار القلم، ١٩٨٥م.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ط دار الشعب، القاهرة.
- الإسناد من الدين/ عبدالفتاح أبو غدة، ط دار البشائر، ١٤١٦هـ.
- الاشتقاق، ابن دريد، دار الجيل، ١٩٩١م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.
- الأصنام، ابن الكلبي، ط مصر، ١٣٤٣هـ.
- أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، سعد المرصدي، ط١.
- الاعتصام، الشاطبي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، مطبعة بن زيدون، دمشق.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقق ع مهنا، ط دار الكتب العلمي.
- الأنساب/ السمعاني، ط دار الحياة، بيروت، ١٩٩٠م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، ط. مكتبة المعارف، ١٩٧٠م.
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة النجار، ط المعارف.
- التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف، عمر بن سليمان الأشقر، ط دار النفائس، ١٩٨٦م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

- تاريخ الحمني، الديار بكري، ط القاهرة، ١٩٨٠م.
- تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون ذكر اسم الناشر.
- تاريخ اليعقوبي، ط دار صادر، بيروت، ١٩٥٠م.
- تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، عبدالله عسيلان، ط مكتبة الملك فهد الوطنية.
- التراتيب الإدارية، عبدالحي الكتاني، دار الكتاب العربي.
- تفسير ابن كثير، ط دار السلام، ١٤١٠هـ.
- تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهري، ط دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
- تهذيب تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي.
- جذوة المقتبس، الحميدي، ط مصر، ١٩٧٥م.
- الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، ط دار المؤيَّد، ١٤١٠هـ.
- حروب الردة، الكلاعي، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.
- حسن المحاضرة، للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ١٣٨٧هـ.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، عبدالعزيز العمري، دار أشبيليا.
- حقيقة معتقد ابن سينا، أبو عبدالملك أحمد بن مسفر العتيبي، ط مطابع نجد، ١٤٢١هـ.

- الحلة السيراء، ابن الآبار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٩م.
- خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق هارون، ط الخانجي.
- دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، ط دار المعرفة ١٩٩٠م.
- ديوان أبي تمام، تعليق/ شاهين عطية، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
- الرحيق المختوم، المباركفوري، ط دار العلمية، ١٤٠٩هـ.
- ردّ مفتريات المبشرين على الإسلام، عبدالجليل شلبي، ط دار المعارف، الرياض ١٤٠٩هـ.
- روح المعاني، الآلوسي، ط دار الفكر، ١٩٨٠م.
- الروض المعطار، محمد الحميري، مكتبة لبنان.
- زهر الآداب، القيرواني، دار الجيل، بيروت.
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ابن نباتة، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ.
- سنن سعيد بن منصور، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.
- السنن الكبرى، البيهقي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٧٠م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ط دار الرسالة، ١٤١٠هـ.
- سيرة ابن هشام، دار الخلود، بيروت.
- شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ط دار الكتاب العربي.
- شعب الإيمان، ط دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.
- شعراء النصرانية بعد الإسلام، لويس شيخو، ط دار المشرق

- طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت.
- طبقات الشافعية، السبكي، ط دار إحياء الكتب العربية.
- طبقات الشعراء، ابن المقنر، تحقيق عبدالستار فراج، دار المعارف، ١٩٨١م.
- عثرات الجاحظ، أبو عبدالملك أحمد بن مسفر العتيبي، ط. دار الحميضي.
- العواصم من القواصم، ابن العربي، تعليق محب الدين الخطيب، ط.
- فتاوى ابن الصلاح، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ط بيت الأفكار الدولية.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الفهرست، لابن النديم، ط دار المعرفة، ١٤١٠هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ط دار صادر، ١٩٩٢م.
- قاموس المذاهب والأديان، حسين محمد، ط دار الجيل.
- قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام، عبدالقادر حرفوش، دار البشائر، ١٤١٦هـ.
- القول المعتبر في تحقيق رواية كل أحد أفقه من عمر، نزار عرعور، ط دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، بيروت، ١٤١٠هـ.

- كتب حذَّر منها العلماء، مشهور سلمان، ط الصميعي.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي.
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ط حيدر آباد، الهند، ١٣٥٧هـ.
- كلمة حق، أحمد شاكر، ط القاهرة، ١٩٧٠م.
- اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، دار صادر، ١٩٨٠م.
- لسان العرب، ابن منظور، ط، دار صادر، ١٤٠٨هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ط دار الفكر ١٩٨٤م.
- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، ط دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.
- مجمع الأمثال، الميداني، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.
- المحبر، محمد بن حبيب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٠م.
- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر الرازي، تحقيق طه العلواني، مطابع الفرزدق.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، ط مكتبة العبيكان (مع الرجوع إلى طبعة عالم الكتب).
- مروج الذهب، المسعودي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيورت، ١٩٧٣م.
- مرآة الجنان، لليافعي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- المزهر في علوم اللغة/ السيوطي، ط دار الفكر، تحقيق البجاوري ورفيقيه.

- معالم العلماء، محمد شهرشوب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠هـ.
- معجم البلدان، ياقوت الرومي، ط دار صادر.
- مسند الإمام أحمد، ط القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- مسند الحاكم، ط القاهرة، ١٤٠٢هـ.
- مقدمة التفسير، ابن تيمية، ط دار الوطن، ١٩٩١م.
- مقدمة ابن خلدون، ط المكتبة العصرية، ١٩٩١م.
- معجم المؤلفين، عمر كحّالة، ط الرسالة.
- ملء العيبة، الفهري، تحقيق محمد بالخوجة، دار الغرب، ١٤٠٩هـ.
- ميزان الاعتدال، الذهبي، ط دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، فاروق حمادة، دار طيبة، ١٤١٨هـ.
- منهج البحث في الدراسات الإسلامية، فاروق حمادة، دار طيبة، ١٤١٨هـ.
- منهج كتابة التاريخ الإسلامي/ محمد حامل السلمي، ط دار الرسالة، ١٤١٨هـ.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ط جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٠هـ
- من حديث الشعر والنثر، طه حسين، القاهرة، ١٩٥٠م.

- نزعة التشيُّع وأثرها في الكتابة التاريخية، دار المسلم، ١٤١٥هـ.
- نزعة الألبّا، الأنباري، ط مصر، ١٩٧٠م.
- نشوار المحاضرة، المحسِّن التنوخي، ط مصر، ١٤٠٢هـ.
- نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق/ محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- نقد كتاب الموازنة بين الطائبين، محمد رشاد صالح، ط دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.
- نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، تحقيق رشيد الألمعي، ط الرشد، ١٤١٨هـ.
- هبة الأيام فيما يتعلّق بأبي تمام، يوسف البديعي، ط دار العلوم، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- الهجرة الأولى في الإسلام، سليمان العودة، ط دار طيبة، ١٤٠٩هـ.
- هداية الحيارى في الردّ على اليهود والنصارى، ابن القيم، ط دار الحياة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- الوحشيّات، لأبي تمام، تحقيق عبدالعزيز الميمني، ط مصر، ١٣٩٠هـ.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، ط دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، ط دار الصادر، ١٩٩٠م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.
- الولاة والقضاة، الكندي، ط بيروت، ١٩٦٠.

الفهرس الإجمالي لموضوعات الكتاب